تصوير ابو عبد الرحمن الكردي

FAKHR

سيرة سيرة
AUTOBIOGRAPHY

صقر أبو فخر

أنيس النقّاش

أسرار خلف الأستار



الطبعة الثانية

منتدى اقرأ الثقافي www.iqra.forumarabia.com

أنيس النقّاش

أسرار خلف الأستار

أنيس النقّاش: أسرار خلف الأستار / سيرة
صقر أبو فخر / مؤلف
طبعة ثانية منقحة: 2010
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب 5460-11 ، هاتفاكس : 751438 / 752308 1 00961
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب 9157 ، هاتف 5605432 6 00962 ، هاتفاكس 5685501 6 00962
e-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الإلكترونيّ: www.airpbooks.com
الإشراف الفنّي وتصميم الغلاف :
خطوط الغلاف : **زهير أبو شايب**
الصفّ الضوئيّ : **ديمو برس / بيروت ، لبنان**
التنفيذ الطباعيّ : **ديمو برس / بيروت ، لبنان**

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات ، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر .

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in any retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

ISBN 978-9953-36-354-4

سيرة سيرة
AUTOBIOGRAPHY

صقر أبو فخر

أنيس النقّاش

أسرار خلف الأستار

تقديم

اسمه في حركة فتح «مازن». واسمه في عملية فيينا «خالد». أما اسمه الأصلي فهو أنيس النقاش. اختار لنفسه، عندما كان طالباً ثانوياً في بيروت، اسماً حركياً هو «مازن» تيمناً بـ«مازن أبو غزالة»، الطالب الفلسطيني الذي ترك دراسته والتحق بالعمل الفدائي واستشهد غداة هزيمة الخامس من حزيران/ يونيو 1967 في معركة طوباس المشهورة التي وقعت في 4/ 10/ 1967.

يقول عنه كارلوس، وهو شريكه في عملية فيينا، إنه من «الكوادر السياسية والعسكرية التي لا تضاهى؛ كان بطلاً حقيقياً». وكارلوس، الذي دوّخ العالم بعملياته الجريئة، هو الاسم الأشهر للمناضل الأممي الفنزويلي إيليتش راميريز سانشيز، الذي اختار لنفسه أيضاً اسماً عربياً هو «سالم»، وكان اسمه الراعب في أوروبا «جوني».

لم يتسلم أنيس النقاش أي منصب أمني في حركة فتح،

لكنه مارس مهمات أمنية كثيرة، وكانت بوصلته، خلال مهماته الكثيرة، تتجه دوماً إلى فلسطين؛ فهو، أولاً وآخراً، مناضل في سبيل تحرير فلسطين وحرية الشعب الفلسطيني.

ساهم في عدد من العمليات الخاصة في إطار المجال الخارجي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأفشل عمليات كثيرة غيرها لأنه رأى فيها تهديداً لأمن الثورة الفلسطينية. وحاول، مع بعض رفاقه، خطف مهدي التاجر، رجل الأعمال الثري وسفير دولة الإمارات العربية المتحدة في المملكة المتحدة في سنة 1974. وكان المخطط لهذه العملية القائد الفلسطيني الكبير وديع حداد، فضلاً عن كمال خير بك وكارلوس، كما شارك في الإعداد لها فؤاد عوض وميشال مكربل. وبسبب مقتل ميشال مكربل بيد كارلوس في ظروف غامضة وملتبسة، تمّ صرف النظر عن هذه العملية. وكان قد قام قبل ذلك بتهريب قاذف آر بي جي مع ذخيرته لقصف إحدى طائرات شركة «العال» الإسرائيلية في مطار أورلي في سنة 1974، وعندما أُطلقت القذيفة لم تنفجر، بل أصابت طائرة يوغوسلافية كانت حطت لتوها على المدرج. وهذه العملية أمر بها وديع حداد، وساهم كارلوس وميشال مكربل في الدعم اللوجستي. أما العملية الأكثر شهرة فكانت اقتحام مقر اجتماع مؤتمر الأوبيك في فيينا في سنة 1975، واحتجاز وزراء النفط

واقتيادهم رهائن إلى الجزائر. غير أن «أبو مازن» (وهو اسمه اللاحق بعد أن منح ابنه البكر اسم مازن) لم يتردد في إحباط عدد من العمليات الأخرى التي كان وديع حداد منهمكاً في الإعداد لها، لأنه رأى فيها عملاً لا يخدم المقاومة الفلسطينية. ومن بين هذه العمليات محاولة اغتيال «غودلي» السفير الأميركي في لبنان في سنة 1972، عندما بادر إلى إبلاغ خليل الوزير (أبو جهاد) بالمحاولة. فما كان من أبو جهاد إلا أن طلب من علي سلامة (أبو حسن) نقل المعلومات إلى الأميركيين؛ وكان هذا هو الاتصال الأول بين أبو حسن سلامة والأميركيين. كذلك أفشل محاولة اغتيال «بوركوني» الملحق العسكري الفرنسي في بيروت عندما أخبر ياسر عرفات تفصيلات الخطة، فأصدر أبو عمار أمراً إلى أبو حسن سلامة بضرورة إعلام الفرنسيين بالمعلومات فوراً. وبالفعل التقى أبو حسن سلامة، لهذه الغاية، داني شمعون، وطلب إليه نقل المعلومات إلى السفارة الفرنسية في بيروت التي اتخذت احتياطات أمنية إضافية وأنقذت ملحقها العسكري. وفي سنة 1976 قررت إحدى المجموعات العاملة تحت إمرة وديع حداد اغتيال المبعوث الأميركي دين براون الذي وصل إلى بيروت في 31/ 3/ 1976، واختير أنيس النقاش لتنفيذ العملية في مكان محدد بالقرب من فندق كارلتون في بيروت، عند وصول براون للاجتماع مع الرئيس اللبناني المنتخب إلياس سركيس. وكان

الأميركيون طلبوا من أبو حسن سلامة تأمين الحماية للمبعوث دين براون. وعند هذه النقطة اتفق أنيس النقاش مع أبو حسن سلامة على تشديد الحراسة على براون تشديداً لافتاً، وكانت تلك الذريعة التي استند إليها في عدم تنفيذ العملية، وحجته في ذلك أن الإقدام على خطة الاغتيال من شأنه أن يفضي إلى اشتباك مع حركة فتح، لأن العناصر المكلفة حماية المبعوث الأميركي تنتمي إلى الحركة. وهكذا صُرف النظر عن هذه العملية.

على أن أكثر عملياته شهرة وإثارة، كانت محاولة اغتيال شهبور بختيار، وهو آخر رئيس وزراء إيراني في عهد الشاه محمد رضا بهلوي. وهذه العملية خطط لها ونفذها أنيس النقاش بنفسه في باريس 18/ 7/ 1980، وعاونه فيها إيرانيان وفلسطيني ولبناني، لكنه وقع في قبضة السلطات الفرنسية بعد أن أصيب برصاصة. ثم حكمت عليه إحدى محاكم باريس بالسجن المؤبد. وفي 28/ 7/ 1990 أُطلق سراحه، وعاد إلى بيروت ليجد رفاقه الذين طالما ناضلوا معاً قد غادروا لبنان في سنة 1982، وتشتتوا في بقاع الأرض.

في بيروت التقينا مجدداً. وتكررت اللقاءات في طهران وبيروت. تحدثنا مطولاً عن الماضي البهي وعن رفاق الأمس

وتحولات الأيام الجارية. ثم اتفقنا على أن ننشر ما أمكن من الكلام. وبين مقهى الجندول في كورنيش المزرعة وأحد المنازل المنزوية في بيروت جرى هذا الحوار، ونُشرت أجزاء وافية منه في جريدة «القدس العربي» (لندن) في نيسان ٢٠٠٢. لكن هذا الحوار المسهب ما زال يتمتع بالنضارة، ولم تتقادم المعلومات الواردة فيه، بل جرى تحديثها بصورة شاملة، ولا سيما في الهوامش الإيضاحية والتفسيرية، الأمر الذي يجعل هذا الحوار مفيداً وممتعاً ومثيراً في آن واحد. وفي هذا السياق لابد لي أن أشكر للصديقين الأستاذ حسن قبلان والأستاذ سعيد الصباح فضلهما بإبداء بعض الملاحظات المهمة التي أخذت بها فوراً.

صقر أبو فخر

البدايات وبيروت
والوعي المبكر

• ولدت في بيروت سنة 1951 وترعرعت في أحيائها وشوارعها. كيف تتذكر بيروت قبل ظهور العمل الفدائي؟

- شهدت بيروت أحداثاً كبرى قبل ظهور العمل الفدائي في سنة 1965. وهي أحداث لها علاقة مباشرة بالعمل السياسي؛ أقصد أحداث سنة 1958 ضد الرئيس كميل شمعون(*). لم أكن

---

* رغب الرئيس كميل شمعون في تجديد ولايته في سنة 1958، وهو المعروف بارتباطه بالسياسة الأميركية والمعادية للرئيس جمال عبد الناصر. وقد اتفق كمال جنبلاط، ومعه شوكت شقير، وعبد الحميد السراج على دفع الناس المعارضين لتجديد ولاية شمعون إلى العصيان المدني كأسلوب في الضغط على شمعون للحؤول دون تجديد ولايته. وجرى الاتفاق على قيام هذا العصيان في آب/ أغسطس 1958. لكن في 7/ 5/ 1958 اغتيل الصحافي نسيب المتني أحد معارضي كميل شمعون، وهاجت المشاعر الغاضبة التي استغلتها الزعامات التقليدية أمثال صائب سلام. وعندما أرسل شمعون قوة من الدرك للقبض على سلام وقعت مواجهة قُتل فيها قائد قوة الدرك. واتسعت المواجهة في جميع أنحاء بيروت، وعمت المعارضة لبنان كله، وانتهى الأمر بتسوية إقليمية بين الجمهورية العربية المتحدة وأميركا، وكان من نتيجتها عدم تجديد ولاية شمعون والإتيان بفؤاد شهاب رئيساً للجمهورية.

في عمر متقدم وقتذاك، لكن تلك «الثورة» انطبعت في ذاكرتي بسبب توقف عمل والدي وخروجنا من بيروت إلى منطقة البقاع طلباً للأمن الذي بات عزيزاً لوجود منزلنا في كورنيش المزرعة، بالقرب من مستشفى البربير، وبالتحديد على مفرق طرق حيث كان الجيش يساهم في القتال. وهناك في تلك المنطقة، كانت الاشتباكات دائمة، ولا سيما في منطقة البسطة، حيث يقع محل والدي.

إذن، كانت بيروت حبلى بالأحداث السياسية قبل ظهور العمل الفدائي، لكن الطابع الأعم لهذه المدينة هو أنها مدينة تجارية هادئة وصغيرة وعدد سكانها محدود، ويطغى على العلاقات الإنسانية فيها طابع العلاقات العائلية المباشرة. ثم، في ما بعد، بدأ التحول، ولا سيما في أواخر الخمسينات، فصارت بيروت مناخاً يحتوي خليطاً من الانفتاح على الثقافة والعمل السياسي معاً، فازدهرت، على سبيل المثال، دور السينما والمراكز الثقافية، والأحزاب، والصحافة، وشرعت الشبيبة البيروتية تمارس اهتماماً متزايداً بالأحداث(*). ثم جاءت

---

* بدأ الازدهار اللبناني فعلياً في سنة 1949 فصاعداً جراء النكبة الفلسطينية. ففي سنة 1948 لجأ إلى لبنان نحو 110 آلاف فلسطيني حملوا معهم 150 مليون جنيه استرليني، أو ما يعادل 15 مليار دولار بأسعار اليوم، علاوة على خبرات كثيرة ولا سيما في الأيدي العاملة

حرب حزيران (يونيو) 1967 كي تحدد لبيروت مسارها العاصف الجديد، وكانت صدمة كبيرة جداً للأمة العربية كلها، وما عاد في الإمكان أن يبقى المواطن مهمّشاً أو مجرد متفرّج على ما يحدث في محيطه.

اهتماماتي السياسية بدأت قبل هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) 1967. لكن هذه الهزيمة نقلتني من مجرد الاهتمام السياسي العام إلى الالتزام السياسي المباشر. وبدأت، بالفعل، البحث عن مجالات سياسية تلبي رغبة الفاعلية والجهد المباشر. وأكثر ما يضايقني، حتى الآن، قلة الفاعلية أو انعدامها، أي من يقول ولا يفعل، لأن أي قول، لكي يكون ذا أثر، يجب أن يقترن بالعمل المباشر وإلاً يصبح كلاماً وتنظيراً فقط، ولا سيما في القضايا الكبرى مثل الدفاع عن العدالة

الزراعية. وكان لإقفال ميناء حيفا ومطار اللد أثر إيجابي في ميناء بيروت ثم مطار بيروت. ثم جاءت الأموال السورية الهاربة من التأميم في سنة 57 ـ 1958 لتجعل لبنان مركزاً مالياً مهماً. وفي ما بعد تدفقت أموال النفط العربية على المصارف اللبنانية التي كان أبرزها المصارف التي أنشأها فلسطينيون مثل بنك انترا والبنك العربي وبنك بيروت للتجارة، أو سوريون مثل بنك لبنان والمهجر، ليصبح لبنان في قمة ازدهاره المالي والعمراني. وفي موازاة ذلك تقاطر على لبنان مفكرون ومثقفون وشعراء وفنانون من سوريا بالدرجة الأولى، الأمر الذي ساهم بازدهاره الثقافي. وكانت الغاية الهرب من الانقلابات العسكرية إلى جو من الحرية والانفتاح.

والحرية والمستضعفين؛ فهذه مسائل لا تحتمل التأويل أو التأجيل أو الانسلاخ عنها أو الاستقالة منها. إذن، جاء التحول النوعي لمدينة بيروت بعد العام 1967 عندما انفجر وضع الشبيبة في الاتجاهات كلها. وصار كل واحد يحاول أن يختط طريقاً أو نهجاً سياسياً أو فكرياً أو أن يجد الحل هنا أو هناك. غير أن الجميع كانت أنظاره مشدودة إلى فلسطين وإلى المقاومة الفلسطينية التي انبثقت في 1/ 1/ 1965. وأنا من بين هؤلاء الشبان الذين أثّر فيهم العمل الفدائي كثيراً، وكم تابعت أخبار العمليات العسكرية في الصحافة قبل أن يصبح الكفاح المسلح علنياً.

كانت بيانات حركة «فتح» تشدني إليها بقوة، وشعرت أن هناك شيئاً ما يتفاعل تحت الرماد. بعد هزيمة 1967 أصبح العمل الفدائي ملموساً ومكشوفاً ومعروفاً. معركة الكرامة في 21/ 3/ 1968 كانت هي المفصل ونقطة الانطلاق. نظمنا في المدرسة، حملات تبرعات لمخيمات اللاجئين ولأطفال فلسطين. وكلفتني المدرسة، ربما لأنني الأكثر حماسة والمستعد دوماً للمغامرة، أن أذهب إلى الأردن مع صديقين آخرين لتقديم التبرعات إلى حركة فتح. في ما يخصني، كان الاتصال بحركة فتح أهم من تقديم التبرعات.

● **المدرسة هي مدرسة المقاصد؟**

ـ نعم، المقاصد. وهي مدرسة سياسية في الصميم. فالمقاصد، قبل ظهور الجامعات الوطنية، كانت المحرك السياسي الأول في بيروت، لأن الفئة المتعلمة في بيروت، أي التي حازت شهادة المرحلة الثانوية فما فوق، وهي من خيرة عائلات المدينة، درست في هذه المدرسة وتخرَّجت فيها، وبالتحديد مدرسة الحرش التي كانت بؤرة للتظاهرات، وهي مدرسة نضالية حقاً.

المهم، ذهبنا إلى الأردن. وفي الأردن لامست مباشرة واقع المخيم الفلسطيني والمقاومة وقادتها ومناضليها وتلك الروح المعنوية العالية. وتم الاتفاق هناك على أن أعود إلى بيروت وأبدأ العمل التنظيمي. لم أكن أعرف بالضبط، ما العمل التنظيمي في لبنان، لكنني علمت أن هناك عملاً تنظيمياً تأسيسياً بدأ قبل ذلك. وما إن عدت إلى بيروت حتى تم الاتصال بي بناء لهذه التوصية من عمّان، ثم كانت هناك توصية أخرى من التنظيم السري لحركة فتح في لبنان. والشخص الذي اتصل بي في بيروت استغرب كيف أن هناك ثلاث توصيات: واحدة من التنظيم الطالبي في فتح، وواحدة من الحركة اللبنانية المساندة لفتح التي كان يرئسها هاني فاخوري، وواحدة جاءت

من الأردن. وهكذا التحقت بالتنظيم الطالبي في حركة فتح. ولم يمر وقت طويل حتى فوجئنا بالعدوان الإسرائيلي على مطار بيروت في 28/ 12/ 1968، الذي اعتبر حينذاك، حدثاً كبيراً وخرقاً خطيراً للأمن اللبناني وللسيادة الوطنية اللبنانية(*). وكنا في فتح نتوقع أمراً من هذا القبيل، ولكن ليس في مطار بيروت بالتحديد. وكنا مستعدين، تنظيمياً، لتحريك الطلاب في حال تعرض لبنان لاختراق عسكري. فابتكرنا «اتحاد طلبة المقاصد» الذي جمع طلّاب الثانويات كلها. وبما أن المنطقة الممتدة ما بين الأشرفية والحرش هي التي تقوم بالعمل السياسي في بيروت، فقد استطعنا، في التنظيم الطالبي لفتح، أن نقود اتحاد طلاب المقاصد بشكل محكم، وبدأنا أول اعتصام بعد حادثة مطار بيروت. وهذا الاعتصام طالت مدته ما أدى إلى استقالة الحكومة حينها. وخلاله كانت لي تجربة أولى في الإضراب عن الطعام في المدرسة. وهي تجربة ممتازة في

---

* قام الطيران الحربي الإسرائيلي بالإغارة على مطار بيروت الدولي، ودمر 13 طائرة مدنية لبنانية جاثمة على أرض المطار بحجة أن فدائيين فلسطينيين هاجموا طائرة لشركة «إلعال» في مطار أثينا كانوا غادروا لبنان عبر مطار بيروت. أما الفضيحة فهي أن الجيش اللبناني وقوات الأمن اللبنانية المكلفة حماية المطار لم تتصدّ للقوة الإسرائيلية المهاجمة التي نفذت مهمتها بسهولة تامة وغادرت المطار من دون إيقاع أي خسائر في جنودها.

العمل النضالي السلمي الذي يحرض الطلاب ويوضح لهم الحقيقة، ما يساعد في تأطير الطلبة وتحريكهم حينما يكون الأمر ضرورياً.

بعد ذلك أصبح اتحاد طلاب المقاصد القاطرة التي تجر وراءها المدارس الثانوية الأخرى، الرسمية والخاصة. وأثّر هذا النشاط في حركة الجامعات، فتضامنت الجامعات معنا، واستمر الإضراب تلك المدة الطويلة. وكان لاستمرار العدوان الإسرائيلي على الجنوب، يوماً بعد يوم، أثر كبير في رفع وتيرة العمل السياسي التي تحولت من وتيرة سلمية وسياسية إلى مرحلة اتخاذ الحيطة والحذر، أي الانتقال إلى التسلح لمواجهة الاعتداءات. فصار هناك عمل أمني ثم تطور إلى إنشاء ميليشيا لحماية المؤسسات والمواقع. فالتدرج في العمل لم يأت من فراغ، بل أتى نتيجة للتصعيد الإسرائيلي الدائم.

● من التقيت في الأردن عندما ذهبت لتسليم التبرعات؟

ـ التقيت أبو اللطف (فاروق القدومي) وفتحي عرفات رئيس الهلال الأحمر الفلسطيني، الذي دهشنا لشبهه الكبير بأخيه ياسر عرفات(*). فعندما دخل إلى الغرفة ظننا أنه أبو عمار

---

* ولد القدومي في 8/ 8/ 1931 في نابلس، وانتسب إلى حزب البعث

ولكن من غير لباس عسكري. ويبدو أنه فهم الدهشة فقال:
لا، أنا أخوه.

- **هل تتذكر البدايات الأولى لتنظيم فتح في لبنان؟ من كان معك من الأشخاص؟**

- المسؤول التنظيمي في ذلك الوقت ولا سيما المسؤول عن الطلاب كان الحاج طلال (سمير أبو غزالة)(*) وهو أول شخص اتصل بي وحدد موعداً معي من أجل إلحاقي بالتنظيم. بعد ذلك تعرّفت إلى الأخ حمدان (يحيى عاشور) الذي كان

العربي الاشتراكي في منتصف الخمسينات. وفي إطار رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة التقى ياسر عرفات وأبو إياد (صلاح خلف) وأبو الأديب (سليم الزعنون) وعبد الفتاح حمود، الأمر الذي جعله يلتحق بالخلايا الأولى لحركة فتح. وفي سنة 1966 تفرغ للعمل السياسي في الحركة، وتسلم، لاحقاً، الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية، وأمانة سر حركة فتح حتى المؤتمر السادس المنعقد في بيت لحم في 4/ 8/ 2009. أما فتحي عرفات فقد ولد في القاهرة سنة 1933، وترأس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني سنة 1968، وكان شديد الشبه بأخيه ياسر عرفات. أصيب بالسرطان في سنة 2004، وتوفي في القاهرة في 1/ 12/ 2004 من دون أن يعرف بوفاة أبو عمار.

* الحاج طلال كان مسؤول التعبئة والتنظيم لحركة فتح في لبنان، وأصبح في ما بعد سفيراً لفلسطين في قبرص ثم في اليونان. عضو المجلس الثوري للحركة، وعضو المؤتمر السادس الذي عقد في بيت لحم في 4/ 8/ 2009.

يتولى مسؤولية إقليم لبنان.

أذكر من تلك الأيام، أن أول زيارة لي إلى مخيم فلسطيني كانت إلى صبرا وشاتيلا، بناء على قصة سمعت بها تتحدث عن أم اعتقلها المكتب الثاني وقام بتعذيبها لإرغامها على الاعتراف عن أولادها المتسببين إلى فتح، وكان المطلوب منها أن تبلغ عنهم لاعتقالهم(*). وهذا ما دفعني إلى زيارة المخيم لأرى ما هو المخيم، وكيف يعيش أهله.

- **معنى ذلك أنك لم تكن تعرف المخيمات قبل تلك المرحلة؟**

- لم أكن أعرف أي مخيم على الإطلاق، وفعلاً فوجئت بأوضاع مأساوية جداً جداً. الوحول في كل مكان، والمياه الآسنة بين المنازل، ووجدت الأزقة الضيقة على نحو لا يوصف من بؤس الحياة. ثم مرت الأيام، وتعرّفت مباشرة إلى تلك المرأة واسمها «أم علي»، وكانت قدَّمت ثلاثة شهداء من

---

* المكتب الثاني أي المخابرات العسكرية اللبنانية. أُسس هذا الجهاز في 1/ 10/ 1945، وكان أول رئيس له النقيب إميل بستاني الذي صار قائداً للجيش في ما بعد، وهو الذي وقع مع ياسر عرفات اتفاقية القاهرة. وقد عانى الفلسطينيون في لبنان، قبل عام 1969، الكثير من عسف هذا الجهاز واستبداده.

أولادها، ثم قدَّمت الرابع في ما بعد، ولم تكن إلاَّ أسطورة واقعية في العمل الفلسطيني، وكانت في طليعة العمل النسائي في شاتيلا(*).

* * *

* تُلقب بـ«أم علي النصراوية» لأنها من مدينة الناصرة. واشتُهرت بتصدرها التظاهرات والمسيرات وجنائز الشهداء. أما مخيم شاتيلا فيقع في الطرف الجنوبي لمدينة بيروت، وهو واحد من اثني عشر مخيماً يعيش فيها اللاجئون بعدما دمرت إسرائيل مخيم النبطية في سنة 1974، ودمرت الميليشيات الكتائبية ونمور الأحرار مخيم تل الزعتر ومخيم جسر الباشا في سنة 1976، وجزءاً من مخيم ضبية.

ساحة البرج والمخيم
والذاكرة المحتدمة

• **لنعد قليلاً إلى بيروت. عائلات بيروت، على العموم، إمّا من الشام أو من حلب أو من المغرب العربي. آل النقاش من أين يتحدرون؟**

ـ لا أعلم من أين جاءت هذه العائلة بالتحديد. فكلما رجعنا إلى شجرة العائلة وجدناها في بيروت ولم نجد أي منشأ آخر لها، وهي من العائلات البيروتية الأصلية. صحيح أن بيروت خليط من هجرات متعددة، لكن بعض العائلات هي عائلات بيروتية أصيلة.

• **هل تتذكر ساحة البرج ودور السينما والبحر؟ كيف كانت الحياة في بيروت في تلك الفترة؟**

ـ نعم، أتذكر ذلك تماماً، ولي قصة طريفة، وهي ان أول تظاهرة سياسية اشتركت فيها كانت من أجل جميلة بوحريد، الأسيرة الجزائرية إبان الثورة الجزائرية(*). كان

---

* واحدة من ثلاث جميلات عرفهن النضال التحرري الجزائري: جميلة بوعزة، وجميلة بوباشا، وجميلة بو حريد. ولدت سنة 1935

عمري في ذلك الوقت ست أو سبع سنوات، وكان ممنوعاً علينا، في المرحلة الابتدائية، أن نشارك في التظاهرات. وكنا نرتدي لباساً خاصاً (مريول) يميزنا عن بقية الطلاب. فاختبأت خلف شجرة وخلعت المريول وخرجت مع الشبان المتظاهرين. لكن المشكلة بدأت عندما وصلنا إلى ساحة البرج ثم محيط مجلس النواب حيث انتهت هناك التظاهرة. كانت مشكلتي أنني لا أعرف طريق العودة إلى المنزل. ووقعت في حيرة، ونزلت الدمعة من عيني، ثم تذكرت أن خط الترمواي يصل إلى محلة البربير. واتبعت خط الترمواي إلى أن وصلت إلى البربير وعدت إلى البيت. وكانت هذه أول مشاركة لي في العمل السياسي. وتأثرت جداً لقصة هذه الامرأة العربية التي كان الجيش الفرنسي يعذبها لأنها تدافع عن وطنها وعن

في حي القصبة المشهور، والتحقت بالثورة الجزائرية. قامت بتفجير قنبلة في 26/ 1/ 1957 في ملهى يتردد إليه الجنود الفرنسيون في الجزائر. اعتُقلت في 9/ 4/ 1957 بعد إصابتها برصاصة في صدرها، وعذبت بالكهرباء في جميع أنحاء جسدها بما في ذلك مكان جرحها وأعضاؤها الجنسية ونهداها. حكمت بالإعدام في 16/ 7/ 1957، فسارت تظاهرات تضامنية معها في العالم العربي وفي بعض المدن الأوروبية، وطالب بالعفو عنها الرئيس جمال عبد الناصر وجواهر لال نهرو، فخفف الحكم عليها إلى المؤبد في 18/ 4/ 1958، وخرجت من السجن في سنة 1962.

استقلال وطنها. فذكرياتي في بيروت تبدأ في ساحة البرج ومن هذه الحادثة بالتحديد.

● **ما هي المؤثرات الأولى التي أسهمت في تكوين وعيك القومي والفلسطيني؟ أعرف أن عمك زكي النقاش كان له تأثير كبير فيك. لكن هل تأثرت بكمال جنبلاط أو بجمال عبد الناصر؟ هل كان للشهيد اللبناني الأول خليل عز الدين الجمل أثر في تكوينك؟**

ـ لا شك أن لعمي زكي النقاش(*) دوراً أساسياً في تكوين شخصيتي. فالجلسات العائلية حينما يكون زكي النقاش فيها تنصرف إلى الموضوعات الجدية. فهو يحمل الدكتوراه في

---

* كان زكي النقاش مدرِّساً للتاريخ في إحدى مدارس نابلس، ثم عاد إلى بيروت ليُدرِّس في إحدى مدارس جمعية المقاصد. وانضم إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، وتولى فيه منصب عميد الحربية (أو الدفاع). لكنه لم يلبث أن ترك الحزب بعدما اعتقلته القوات الفرنسية مع أنطون سعادة في سنة 1939، وبعدما هددته جمعية المقاصد بالطرد منها إذا استمر في انتمائه إلى الحزب. أما خليل عز الدين الجمل فهو أول شهيد لبناني في صفوف الثورة الفلسطينية. ولد في بيروت في سنة 1951، والتحق بحركة فتح في سنة 1967، واستشهد في الأغوار في 10/ 4/ 1968، وشُيِّع جثمانه في بيروت بموكب رسمي وشعبي كبير، ومنحه الرئيس عبد الله اليافي وسام الاستحقاق.

التاريخ، وكان ملتزماً القضايا القومية والقضايا الإسلامية.

• أكان من أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي؟

ـ هو من المؤسسين الأوائل مع أنطون سعادة(*). لكنه ترك الحزب في البدايات لبعض الاختلافات في وجهات النظر. المهم أن أحاديثه أمدتني ببعض القدرة على التحليل التاريخي وعلى فهم الحقائق والوقائع. وعلى الرغم من صغر سني كنتُ، عندما يُعرضُ أمامي موضوعاً ما، أتدخل وأجيب بسرعة، فيضحك ويقول: إن هذا أصغركم لكنه أفهمكم، وطالما ردّد أن هذا الفتى يفهم السياسة أسرع من الآخرين. ولا ريب في أن

---

* أحد أبرز المفكرين في العالم العربي ومؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كان له شأن كبير جداً في سوريا ولبنان في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين. ولد في الشوير في 1/ 3/ 1904، وغادر لبنان إلى الولايات المتحدة، ثم انتقل إلى البرازيل في سنة 1921، وأسس «حزب الأحرار السوريين» في سنة 1924. عاد إلى لبنان في سنة 1930 ثم انتقل إلى دمشق. وفي 16/ 11/ 1932 أسس سراً الحزب السوري القومي. أصدرت الحكومة اللبنانية أمراً باعتقاله في سنة 1949، فأعلن الثورة المسلحة، لكنها فشلت، فلجأ إلى دمشق، لكن حسني الزعيم، حاكم سورية آنذاك، سلّمه إلى السلطات اللبنانية التي أصدرت حكماً بإعدامه، ونُفذ الحكم في 8/ 7/ 1949، في ما اعتبر جريمة بشعة بحق مفكر وسياسي من طراز فريد.

زكي النقاش أسهم كثيراً في تكوين شخصيتي. كان لا يهاب في الحق أحداً، فيوجه الرسائل إلى رئيس الجمهورية وإلى الوزراء، ويتصل برؤساء الوزارات ولا سيما الذين درسوا في المقاصد، فيعنفهم إذا ارتكبوا أي خطأ ويقول لهم، كأنهم ما زالوا تلاميذه: لم نُرَبِكُم على هذا. وأنا أخذت عنه هذا الميل إلى الجرأة. وكان دائماً يدفعني إلى المطالعة؛ فهو من المشجعين على قراءة جميع أنواع الكتب. وفي عملي السياسي طالعت كثيراً جداً، ولم ألتزم إيديولوجيا معينة، فقرأت أنطون سعادة، وميشال عفلق(*)، وقرأت ماوتسي تونغ، وماركس، ولينين. وكان أخي الذي لا يميل البتة إلى السياسة يستغرب ويقول لي: نحن لا نعرف في أي اتجاه أنت، فمكتبتك مليئة بشتى صنوف الكتب. وعندما يرى الواحد منا كثرة الكتب الماوية يقول: أصبح أنيس ماوياً. وعندما يلاحظ أن الكتب القومية زادت يعتقد أنك أصبحت قومياً.

أكيد أن بعض المناضلين في فترة العمل السياسي أثروا

---

* ولد ميشال عفلق في دمشق سنة 1910، ودرس في دمشق وباريس، واعتنق الفكر الاشتراكي. عاد إلى دمشق وأسس «جمعية نصرة العراق» في سنة 1941، ثم أصدر مع صلاح الدين البيطار جريدة «البعث» وأسس حزب البعث العربي الاشتراكي في 7/ 4/ 1947. توفي في باريس في 23/ 6/ 1989، ودفن في بغداد.

فيَّ جداً، مثل الحاج طلال الذي كنت أستغرب قدرته على المثابرة والتحمُّل. كنا نعقد اجتماعات صباحاً في طرابلس ونكون مساء في صور، وهو لا يتأخر عن الذهاب إلى البقاع ليعود إلى متابعة الاجتماعات. قدرته على العمل المتواصل كانت عالية، وكنت أجد فيه الكثير من الإخلاص. وتعلمت من بعض الإخوان القدرة على التحليل، ومن بعض الإخوان الآخرين الحرص الأمني، وأعتبر أن لي أكثر من أستاذ في السياسة وفي التحليل وفي الأمن.

- **من أوائل المناضلين في حركة فتح في لبنان، الأخ هاني فاخوري والحاج توفيق حوري، اللذان أصدرا مع الأخ أبو جهاد مجلة «فلسطيننا». هل التقيت هاني فاخوري في تلك الفترة أو الحاج توفيق حوري؟**

ـ كلا، الحاج توفيق حوري(*) لم ألتقه، لكن هاني فاخوري التقيته أكثر من مرة خلال المحاضرات أو في أثناء جمع التبرعات أو النشاطات الاجتماعية لدعم الثورة الفلسطينية، وكان يترأس الحركة اللبنانية المَساندة لفتح. وأنا

---

* الحاج توفيق حوري أحد الأعضاء البارزين في «جمعية البر والإحسان» التي أنشأت «جامعة بيروت العربية» وغيرها من المؤسسات التعليمية. تعرف إلى ياسر عرفات وخليل الوزير

منذ البداية اتصل بي أحد الأخوة في الحركة اللبنانية المساندة لفتح ممن يعملون مع هاني فاخوري وقال لي: كنا نتمنى أن تكون معنا في الحركة اللبنانية المساندة لفتح، لكنك تصر على أن تكون في تنظيم فتح، والتوصية من الأردن هي أن تكون في التنظيم.

- **كان ذلك في سنة 1968 على ما أحسب.**

ـ نعم، في سنة 1968. كنت أعرف الحركة اللبنانية المساندة وأتابع عملها ولكنني كنت في إطار آخر.

- **ماذا عن كمال جنبلاط وجمال عبد الناصر؟**

ـ العائلة كانت متأثرة، مثل معظم العائلات البيروتية، بجمال عبد الناصر وقيادة مصر للعالم العربي. ونحن في العائلة كنا من الذين زحفوا إلى سورية عندما جاء عبد الناصر إلى دمشق سنة 1958. ذهبنا كباراً وصغاراً، نساء ورجالاً، للتظاهر

(أبو جهاد) في سنة 1959، وتولى مع هاني فاخوري (أبو ياسر) إصدار مجلة «فلسطيننا ـ نداء الحياة» التي كانت لسان حركة فتح في المرحلة السرية. وظلت هذه المجلة تصدر حتى سنة 1964 حينما باتت «فتح» على أعتاب إعلان الكفاح المسلح ثم أطلقت الرصاصة الأولى بالفعل في 1/ 1/ 1965.

أمام قصر الضيافة في دمشق حينما ألقى عبد الناصر خطبته المشهورة، واستطاعت أختي الكبرى أن تصل إلى عبد الناصر وتسلم عليه وتعانقه. وهذا الحدث كان حديث العائلة لعدة سنوات، حيث كنا نتندر كيف استطاعت أختي أن تصل إلى عبد الناصر وتسلم عليه، كان هذا الحدث فخراً للعائلة.

أما تأثري بعبد الناصر فبدأ إبان حرب 1956. وفي هذا قصة ظريفة: جاءت بعض البواخر المصرية إلى بيروت سنة 1955. وكان من عادة بعض البواخر الفرنسية أن تدعو الناس إلى زيارتها حينما تصل إلى مرفأ بيروت. وفعل المصريون الشيء نفسه، فقاموا بعملية دعائية، وأطلقوا على إحدى البواخر اسم «الجزائر» تضامناً مع ثورة الجزائر. واليخت الآخر كان «المحروسة»، يخت الملك فاروق الذي بدل عبد الناصر اسمه إلى «الحرية». جاءت الباخرة «الجزائر» ويخت «المحروسة» إلى بيروت وأفسحا في المجال أمام الناس لزيارتهما. كنت صغيراً حينها ولي نحو 4 سنوات فقط. لكن مجموعة من مدربات التربية البدنية ممن كنَّ على ظهر اليخت رغبن في أن يلتقطن صورة جماعية معي، لأنهن أُعجبن بهذا الطفل. وعقدت على ظهر الباخرة صداقة بين والدتي وإحدى الفتيات المصريات، واستمرت المراسلة بينهما على مدار سنة كاملة. ثم وقعت حرب السويس سنة 1956 فكانت والدتي تتابع

أخبار الحرب لا من منطلق سياسي بل من منطلق أن لنا أصدقاء في مصر. وعلمت من إحدى الرسائل أن هذه الفتاة، واسمها عفاف، تطوعت للخدمة في الدفاع المدني. فكنت أبكي في الليل خوفاً على عفاف التي حملتني والتي تصورت معها والتي كانت تراسل أمي. ورحت أسأل أمي يومياً: هل وصلت رسالة من عفاف؟ ووالدتي تطمئنني أنها بخير. وعندما طلبوا منا في المدرسة التبرع للشعب المصري، تبرعت بواحدة من كنزتين لم أكن أملك غيرهما في ذلك الوقت.

دائماً كان للتأثيرات السياسية في حياتي جانب إنساني. فأول لقاء مع المقاومة الفلسطينية كان بسبب امرأة عذّبتها المخابرات اللبنانية. وعلاقتي بمصر سنة 1956 كانت بسبب صديقة مشتركة تعرفنا إليها على ظهر باخرة. غير أن وقفة عبد الناصر سنة 1956 ضد العدوان الثلاثي كانت من وقفات العز للأمة العربية، فلم يرهبه العدوان مع أن خصومه كانوا ثلاث دول(*).

---

* قادت بريطانيا عدواناً ثلاثياً على مصر في سنة 1956 شاركتها فيه فرنسا وإسرائيل، بذريعة تأميم الرئيس عبد الناصر قناة السويس. وكانت فرنسا ترغب في الانتقام من مصر لمساندتها ثورة الجزائر والحركات الاستقلالية في المغرب العربي وأفريقيا. أما إسرائيل فكانت تريد احتلال سيناء وغزة. وكانت النتيجة فشل هذا العدوان

أنا كنت، في ما بعد، ملتصقاً بالمخيم الفلسطيني. لا تسلية أو لعب أو أي نشاط آخر. كلما أتيح لي وقت فراغ أذهب إلى المخيم، وأجلس في أحد المكاتب في المخيم أو أشارك في نشاط من نشاطات المخيم. وكنت أشعر، بعمق، بالمعاناة الإنسانية للفلسطينيين. من هنا جاء التصاقي أكثر بالقضية الفلسطينية وبالشعب الفلسطيني، حتى إن البعض لم يكن يعرف أنني لبناني، وصارت لهجتي عكاوية تقريباً.

* * *

بعد الإنذار السوفياتي المشهور، والموقف الأميركي المعارض لهذا العدوان، فانسحبت جيوش هذه الدول الثلاث، وتحول عبد الناصر إلى بطل قومي.

حركة فتح والغرام
وأوائل الأساتذة

- **إذاً، لم تعش طفولة عادية. كيف تفتحت مشاعرك الأولى على الحب مثلاً؟**

ـ أنا عشت نوعاً من التناقض الحقيقي. كنت مثل أي إنسان عادي، أرغب في أن أعيش حياة طبيعية. أحب الذهاب إلى السينما وسماع الموسيقى وأتابع المجلات التي تتحدث عن المغنين الأجانب. وقد يستغرب البعض إذا علم أنني كنت راقصاً بارعاً في تلك الأيام، حتى وصل الأمر، وأنا في السادسة عشرة، إلى أن أقوم بتنظيم حفلات في أحد المراقص. لكن حرب 1967 هي التي وقعت علينا كالصدمة الكبيرة، فتوقف كل شيء. وهذا لا يمنع من القول إننا كنا نكتظ بالعواطف المتحفزة، ونريد أن ننجذب إلى الجنس الآخر وأن نحب. وخلال العمل النضالي والعمل الطالبي في مدارس المقاصد تعرّفت إلى فتيات في مدارس المقاصد الأخرى، ونالت إحداهن إعجابي، وارتبطت معها بعلاقة بسيطة، أي مجرد لقاءات عفوية، وتبادل عواطف وكلام ورسائل. أذكر تماماً أن آخر لقاء عاطفي من هذا النوع كان على كورنيش المزرعة للتواعد على اللقاء في مكان آخر. وفي الموعد قصفت

الطائرات منطقة صبرا، فتركت صديقتي وذهبت إلى صبرا لأشاهد ما حدث، ورأيت الأشلاء بأم عيني. ومنذ ذلك اليوم أصبح لدي نوع من الممانعة حيال صديقتي. ثم انتهت المواعيد بيننا إلاّ بعض المكالمات الهاتفية، وكأنني أصبت بعقدة الذنب، أي إننا لا نمتلك الحق في الحب واللهو بينما القصف ينهمر على صبرا(*).

● **في أي سنة كان ذلك؟**

- ربما كان ذلك عام 1970. نعم في عام 1970 وهو القصف الجوي الأول لصبرا.

● **لكن ألم تحب فتاة فلسطينية مثلاً طالما كنت تمضي معظم وقتك في المخيم؟**

- عندما انخرطت أكثر في العمل السياسي، وفي المخيم

---

* الشائع أن صبرا هو مخيم فلسطيني. والحقيقة أنه حي من أحياء بيروت يسكنه، في الأساس، لبنانيون. ولكن بسبب التصاقه بمخيم شاتيلا، وبسبب التداخل السكاني، صارت المنطقة كلها تدعى صبرا وشاتيلا. واللافت أن أسماء هذه الأمكنة عائدة لأصحابها. فشاتيلا وصبرا وكذلك الداعوق صارت أسماء لمخيمات فلسطينية أقيمت على أراضٍ تمتلكها هذه العائلات.

بالتحديد، ألزمت نفسي نوعاً من التحريم الذاتي. كان ثمة الكثير من الفتيات الفلسطينيات الجميلات والجريئات والواعيات سياسياً ممن يثرن إعجابي، لكنني بصفتي المسؤول عنهن كنت أحرِّم على نفسي الميل إلى هذه أو تلك خشية أن يتداخل العمل السياسي في العمل العاطفي. وفي ما بعد، تزوجت امرأة من خارج التنظيم، وفوجئت الأخوات في التنظيم كلهن كيف أن «مازن» (أي أنيس النقاش) غرّب كثيراً، وكنّ يتوقعن أن يتزوج هذه الفتاة أو تلك. لكن الأمور لم تكن تجري على هذا النحو.

- **مَن تتذكر من أصدقاء الطفولة والدراسة والشباب ممن صاروا في مواقع بارزة الآن؟**

ـ أتذكر الكثير، لكنني الآن أتحرج من ذكر أسماء بعضهم لأنهم تركوا العمل السياسي وأصبحت لهم حياة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية مختلفة، وهم الآن في مراكز حساسة. ولكن يمكن أن أقول إن أحدهم أصبح مستشاراً اقتصادياً لأحد الوزراء الأميركيين وحاز الجنسية الأمريكية، وإحداهن صارت وزيرة في بلد عربي.

● **لعلها السيدة ريما خلف(*)؟**

- نعم. وآخر بات من كبار العلماء في العالم اليوم. وآخرون أصبحوا رجال أعمال كباراً ويديرون شركات متعددة الجنسيات. هؤلاء كانوا في حركة فتح. بعضهم كان مسؤولاً عني، والبعض كنت مسؤولاً عنه. وأذكر تماماً اندفاعهم وإخلاصهم وتضحياتهم، والبعض كان على استعداد للاستشهاد في سبيل فلسطين بالتأكيد.

● **اليوم، بعد هذا العمر الطويل وهذه التجربة الغنية في فتح، كيف تشعر عندما تستعيد هذه الذكريات؟**

- أحس أن حياتي كانت مليئة بمواقف أفتخر بها. وحياتي كلها كانت سلسلة من المواقف الجدية ولم تكن عبثية البتة. لم نضيّع وقتنا في أمور تافهة، بل صرفنا عمرنا في مسائل نعتز

---

* كانت ناشطة في الاتحاد العام لطلاب فلسطين في الجامعة الأميركية في بيروت، وفي التنظيم الطالبي لحركة «فتح». ولدت سنة 1953، وتخرجت في كلية الاقتصاد في الجامعة الأميركية سنة 1976. عينت وزيرة للصناعة والتجارة في الأردن سنة 1993، ثم وزيرة للتخطيط في سنة 1995، ثم نائباً لرئيس الوزراء في حكومة عبد الرؤوف الروابدة، ثم أصبحت مساعدة للأمين العام للأمم المتحدة في سنة 2000، ثم انتقلت إلى دبي لترأس المكتب التنفيذي في مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم واستقالت في سنة 2009

بها. كنا نتعلَّم، يومياً، في رحم الصراع الدولي الكبير الذي اسمه فلسطين. إنها قضيتنا المستمرة والتي ما برحت أهم قضايا العالم. والقضية التي لا تهم العالم العربي والعالم الإسلامي فحسب، بل جميع الأحرار في العالم أيضاً. وهذه الأبعاد كانت تعطينا الثقة بأننا نقوم بهذا النضال بطريقة مغايرة، وليس مثل الأحزاب التي تخوض الانتخابات البلدية والنيابية لتصل إلى أهدافها. كان هناك نضال سياسي يبدأ من توزيع المنشورات والقيام بالأعمال الدعائية وإصدار المجلات والتحريض الإذاعي، إلى المحاضرات والندوات. ثم كان هناك عمل أمني في مستوى استخباري رفيع، وعمل عسكري غير بسيط كالمشاركة في حرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973 أو في معارك الدفاع عن الثورة الفلسطينية. فأبعاد هذا النضال كانت متكاملة وتشمل مستويات عدة. وهذا ما كان يميزنا عن بقية الحركات الثورية في العالم. بعض الحركات كانت تتخذ إما منحى عنفياً، أو منحى سياسياً. ولكن نضالنا في الثورة الفلسطينية كان يستوعب جميع الأشكال النضالية برمتها.

- **ربما لأن فتح كانت تعبيراً عن نهوض شامل في حياة الشعب الفلسطيني.**

ـ أولاً، لم تكن فتح منغلقة، فهي، بالتأكيد، كانت تعبيراً

عن الشعب الفلسطيني كله، أي إنها كانت أم الشعب الفلسطيني وقائدته في معركته النضالية، وكانت مدرسة غنية شملت الكثير من التيارات السياسية. أنا أعتقد أن العالم العربي لم يتمكن من خلق مدرسة سياسية أهم منها حتى الآن(*).

● **حتى التيارات القومية والماركسية؟**

- نعم، نعم. تلك التيارات كانت محدودة، وأثبتت أنها لم تتمكن من التقدم، بل تحجرت بسبب عدم قدرتها على الانفتاح. في حين أن فتح ظلت تحقق التقدم يوماً بعد يوم. وهذا ما برهنت عليه الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت في 28/ 9/ 2000. هذا لا يعني أن التجربة كلها كانت إيجابية، لأن

---

* بدأ ياسر عرفات يفكِّر في تأسيس مجموعة مقاتلة في سنة 1957 بعد مجيئه إلى الكويت، فالتقى خليل الوزير (أبو جهاد) وراحا معاً يتصلان برفاقهما القدامى في القاهرة وغزة. وتألفت النواة الأولى من ياسر عرفات، وخليل الوزير، وعادل عبد الكريم، وتوفيق شديد، ويوسف عميرة، وعبد الله الدنان، وصاغ هؤلاء «بيان الحركة» ووضعوا كراس «هيكل البناء الثوري» واتفقوا على اسم «حركة التحرُّر الوطني الفلسطيني» واختصاراً «حتوف»، فحذفوا الواو وقلبوا الاسم فصارت «فتح». وانضم إليهم صلاح خلف (أبو إياد) في سنة 1959، ثم كمال عدوان. . . وهكذا. ويمكن اعتبار سنة 1959 هي سنة التأسيس الفعلية حيث عقدت الحركة مؤتمرها الأول في الكويت.

التنوع بقدر ما فيه من الغنى يورث الكثير من التشويش نتيجة لعدم الانسجام الفكري. فكنت تجد فيها اتجاهات متعددة وكثيرة من الإسلامي إلى الماركسي، وهذا يؤدي إلى مجادلات واصطفافات داخل التنظيم ربما تؤثر في التماسك العام وتؤدي إلى هدر الوقت والمجهود، وأحياناً إلى عدم تشخيص الأهداف الرئيسة؛ لأن البعض يقيم لنفسه أحياناً أهدافاً مختلفة عن الآخر، فيصبح هناك تهتّك في العمل السياسي. وهذا التنوع السياسي في فتح كانت له سلبياته وإيجابياته معاً. وأنا أعتقد أن إيجابياته أكثر بكثير من سلبياته. ففتح مدرسة سياسية ابتدعها الشعب الفلسطيني لتعبر عن انفتاحه لا عن انغلاقه.

- **شاركت في تظاهرات 23 نيسان (ابريل) 1969 للدفاع عن الثورة الفلسطينية والعمل الفدائي إبّان الأزمة المعروفة. ما كانت مهماتك بالتحديد في ذلك الوقت غير العمل الطالبي في الثانويات(*)؟**

- التحقنا فوراً بمخيم شاتيلا الذي انتفض على سلطة

---

* اندلعت تظاهرات 23 نيسان 1969 احتجاجاً على محاولة الجيش اللبناني القضاء على الفدائيين في جنوب لبنان، وتصدرت القوى الوطنية اللبنانية هذه التظاهرات التي سقط فيها عدد من الشهداء والجرحى. وكان من نتائجها اعتكاف رئيس الحكومة رشيد كرامي

المكتب الثاني وعلى مخافر الدرك التي كانت موجودة فيه. لكن قلة السلاح في المخيم أدت إلى أن يصبح وجودنا عبئاً بشرياً على التنظيم. ولا سيما أن التنظيم الطالبي كان كله خارج المخيم. فابتكرنا خطة فحواها أن تتحرك الخلايا إلى أطراف المخيم وتقيم في منازل الإخوة الذين يعمل أهلهم في الخليج مثلاً أو في بلدان أخرى، بحيث تكون هناك مجموعات احتياط على أطراف المخيم للمساندة. وكانت الخلايا تمتلك أسلحة خفيفة جداً بل سخيفة جداً، كأن تجد في بعض الشقق عشرة أو خمسة عشر مناضلاً ومعهم مسدسات فقط، أو رشاش من صنع محلي. غير أن المعنويات كانت مرتفعة جداً حتى إنهم كانوا مستعدين للقتال بأسنانهم وأياديهم وبالعصي إذا هوجم المخيم.

وفي أي حال، تحرر المخيم من حكم المكتب الثاني، وجرى توقيع اتفاقية القاهرة لتنظيم العمل الفلسطيني والكفاح المسلح. وكل ضربة لا تميتنا كانت تقوينا فتأتي بمناضلين جدد، وكان التنظيم يكبر باستمرار ويتقوى أكثر.

في 24/ 4/ 1969 حتى توقيع اتفاقية القاهرة في 3/ 11/ 1969، فشكل حكومته في 26/ 11/ 1969. وكان وليد جنبلاط وجورج حاوي أبرز الذين شاركوا في هذه التظاهرة.

• **ولا سيما بعد معركة الكرامة سنة 1968[*].**

ـ الكرامة كانت قفزة كبيرة. ولكن في بيروت، بعد أحداث نيسان (أبريل) 1969، بدلاً من أن نضعف أمام الدولة أصبحنا أقوياء. فقد زادت مجزرة نيسان (أبريل) 1969، على الرغم من وقوع 75 شهيداً وجريحاً، عدد المنتسبين إلى التنظيم، وحتى الاشتباك مع الدولة في 2 أيار (مايو) 1973 قوّى أيضاً العمل ولم يضعفنا[**]. أي إن المؤامرات كانت تؤدي

---

* حاولت المدرعات الإسرائيلية التقدم نحو بلدة الكرامة التي ينتشر فيها الفدائيون. فاجتمع ممثلو المنظمات الفلسطينية لتقدير الموقف، فاقترح أحمد جبريل وأحمد زعرور الانسحاب إلى التلال الشرقية للحفاظ على الذات. لكن ياسر عرفات رفض هذا الاقتراح وبقي مع الفدائيين الذين اشتبكوا مع المدرعات الإسرائيلية في 21/ 3/ 1968 وأوقعوا بها خسائر كبيرة. واعتبرت هذه المعركة التي شارك فيها الجيش الأردني نصراً كبيراً لحركة فتح، وشكلت الانطلاقة الثانية للثورة الفلسطينية.

** اغتال كوماندوس إسرائيلي في 10/ 4/ 1973 كلاً من كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار في قلب بيروت. وأثار نجاح القوة الإسرائيلية استياء عارماً في الوسط اللبناني والفلسطيني، وشيعت جماهير غفيرة الشهداء الثلاثة. وبات واضحاً أن الثورة الفلسطينية تحولت إلى قوة سياسية كبيرة في لبنان. ولم تلبث أوساط في الجيش اللبناني أن دفعت الأمور إلى الاصطدام بالمقاومة الفلسطينية في 2/ 5/ 1973، ولم يتوقف القتال إلا بعد تلقي سليمان فرنجية إنذاراً حاسماً من الرئيس حافظ الأسد.

إلى تقوية العمل الفلسطيني وليس إلى إضعافه.

● **في تلك الفترة الصاخبة جداً والمضطربة جداً في لبنان، كان هناك يسار صاعد بقوة وتيار يميني متحفز، بينما تيار الثورة الفلسطينية يؤكد نفسه بقوة. وكانت هناك مجادلات ماركسية كثيرة ولا سيما فكرة حرب الشعب وصراع الطبقات وغيرها. ماذا كنت تقرأ في تلك الفترة؟**

ـ قرأت كل كتب ماوتسي تونغ تقريباً ولا سيما المتعلقة بحرب الشعب. وقرأت عن التجربة الفيتنامية. وقرأت كتباً عسكرية واستراتيجية مثل كتب ليدل هارت والجنرال أندريه بوفر، فضلاً عن كتب تاريخية عن الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية. ثم قرأت عن الحرب الكورية للجنرال ماك آرثر. وكنت أقرأ كتباً متنوعة وكتباً إيديولوجية، وهذا ما ساعدني في نواح عدة. أنا كنت على مفترق نقطة اللقاء الفلسطيني ـ اللبناني، فكنت أعرف عقل المخيم وعقل الفلسطينيين كما كنت أعرف عقلية اللبنانيين. وثقافتي المتنوعة سمحت لي، في اللقاءات والاجتماعات التنسيقية، أن أجد النقطة المشتركة مع الأحزاب اللبنانية، أي نقطة التلاقي بين الأحزاب اليسارية والمقاومة الفلسطينية. والأحزاب اليسارية عندما كانت تحتاج محاوراً من الجانب الفلسطيني كانوا يشيرون

إليّ قائلين: هذا يمكن أن تصلوا معه إلى نتيجة، فنذهب فوراً في نقاشنا من الناحية النظرية إلى الناحية العملية. لم أكن فلسطينياً فحسب، بل كنت فلسطينياً ولبنانياً في الوقت نفسه. وثقافتي غير المنغلقة ساعدتني في هذا الأمر. ومدرسة فتح التي تسمح بأن تكون منفتحاً على الجميع ساعدتني في هذا المجال أيضاً.

● هل كنت قريباً إلى الفكر الماوي؟

ـ لا. كنت أستفيد من الفكر الماوي وتجربته العملية. فماوتسي تونغ كان عملياً جداً. ثم جاء كاتب فلسطيني معروف هو منير شفيق(*) الذي بلور فكرة التناقضات التي تكلم عليها ماوتسي تونغ وطبقها على الواقع العربي الفلسطيني. وكانت مدرسة التناقض الرئيسي التي كتب عنها منير شفيق مهمة جداً. وأعضاء التنظيم كانوا دائماً، في التحليلات السياسية، يتوهون يميناً ويساراً ويتساءلون: أين التناقض الرئيسي؟ وأخطر ما

---

* ولد منير شفيق سنة 1936. والده شفيق عسل كان قومياً عربياً. وشقيقه جورج استشهد في جبال لبنان إبان الحرب الأهلية. انضم منير إلى الحزب الشيوعي الأردني، ثم ترك الشيوعية ليلتحق بحركة فتح، وعمل في حقل الإعلام، ثم في مركز التخطيط الفلسطيني الذي أصبح مديراً له سنة 1978. تحول إلى التيار الماوي، لكنه لم يلبث أن مال إلى الإسلام.

يمكن أن تواجهه الثورة أو أي عمل ثوري هو الغرق في تناقضات ثانوية وفي معارك ليست لها أهمية، وأن ينسى المناضلون التناقض الرئيسي. وهذه النظرية عند ماوتسي تونغ كانت عملية جداً. ثم كان هناك مناضلون مثل محجوب عمر(*)، وهو مناضل مصري عريق وقدير وصاحب حس كبير وملتصق بالجماهير ودائماً كان يقول: انظروا أين هو الشعب وقفوا معه فتكونون في الطريق السليم، فكان بدوره أستاذاً كبيراً لي.

تعلمت أيضاً من هاني الحسن(**) الذي أثر فيَّ كثيراً في

---

* محجوب عمر هو الاسم الذي اختاره المناضل رؤوف نظمي ميخائيل عبد الملك حين التحاقه بالحزب الشيوعي المصري. ولد سنة 1930، وتخرج طبيب تخدير في جامعة القاهرة. اعتقل في سنة 1959 في سجن الواحات، وبعد خروجه من السجن سافر إلى الجزائر سنة 1967، ثم التحق بحركة فتح في الأردن في أواسط 1969، ثم انتقل معها إلى بيروت سنة 1970، وعاد إلى مصر في سنة 1982. وقد منحه الرئيس ياسر عرفات وسام نجمة القدس في سنة 2004.

** ولد هاني الحسن في حيفا سنة 1937، ولجأ مع عائلته إلى دمشق. درس الهندسة في ألمانيا، وأنشأ مجموعة من الطلاب الفلسطينيين. وهذه المجموعة انضمت إلى حركة فتح. انتخب عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح في المؤتمر الرابع سنة 1980، وكان أول سفير لمنظمة التحرير في طهران سنة 1979.

أكثر من محاضرة، ثم أصبحت صديقاً شخصياً له، وهو صاحب مدرسة التحليل الذي يجمع التحليل السياسي والنظرية السياسية والمعلومات في صياغة محكمة، وكان يردد: إيّاك أن تغرق في المعلومات، فيكون التحليل مقتصراً على جهة واحدة من دون البعد السياسي والبعد الجيو - استراتيجي للمسألة. وإياك أن تغرق في النظرية فتكون منظِّراً بلا وقائع. وهو الذي علمني أن التحليل يجب أن يكون قائماً على قدمين: التحليل النظري أي امتلاك النظرية، والمعلومات. ولكن أستاذي الكبير الذي أثر فيَّ بتواضعه وأخلاقه هو خليل الوزير(*) (أبو جهاد). كان أبو جهاد قائداً يمتلك الإمكانيات الكبيرة جداً وله موقع رفيع جداً يجهله الكثيرون حتى ممن عاصروا العمل الفلسطيني، وحتى الذين يعرفون العمل الفلسطيني من الخارج. فكان الرجل الثاني في الثورة الفلسطينية بكل معنى الكلمة.

---

* أحد القادة المؤسسين لحركة فتح. ولد في الرملة سنة 1935، ولجأ مع عائلته إلى غزة سنة 1948. بدأ ينفذ بعض العمليات العسكرية الصغيرة في سنة 1954 وأسس مجموعة فدائية لهذه الغاية. التقى ياسر عرفات في القاهرة سنة 1955 وأسسا معاً، في ما بعد، حركة فتح، وكان المسؤول عن أول مكتب خارجي لها في الجزائر سنة 1963، وهناك التقى غيفارا في سنة 1964. أصبح نائب القائد العام لقوات العاصفة سنة 1970، وبهذه الصفة أشرف على معظم العمليات العسكرية ضد إسرائيل. اغتالته إسرائيل في تونس في 16/ 4/ 1988 ودفن في دمشق.

لكنه الرجل الأول في العمليات التنظيمية والعسكرية وكان مسؤولاً عن الأرض المحتلة، وهو يعرف فلسطين قرية قرية ويعرف شعبها وعادات أهلها، ويعرف أسماء مخاتير القرى أحياناً. كانت لديه صفة الأمير في العمل العسكري، بحسب ميكيافلي. فالأمير في الحرب مهمته أن يفكر في كيفية قيادة الحرب. والهمّ الأكبر عند أبو جهاد هو كيف يتمكن من البقاء في صراع الإرادات مع العدو الصهيوني، وأن يطور العمل العسكري، كلما أراد العدو أن يغلق منطقة أو يأتي بتكتيك جديد. وكانت مهمة أبو جهاد ابتداع تكتيك جديد لكي يثبت للعدو أن النضال المسلح مستمر وأن الإرادة الفلسطينية لا تقهر. ثم تعلمت منه كيفية معالجة الأزمات في أثناء الأزمة التنظيمية التي تورطنا فيها مع اللجنة المركزية لحركة فتح وأدت إلى استقدام قوات من جنوب لبنان لحل المشكلة، وكان الوضع خطيراً جداً في تلك المرحلة.

- **أزمة يحيى عاشور(*) (حمدان)؟**

ـ كان حمدان محوراً أساسياً فيها، والمحور الآخر ياسر

---

* حمدان هو الاسم الحركي ليحيى عاشور الذي كان مسؤولاً عن إقليم لبنان في حركة فتح قبل سنة 1970. وبعد أحداث أيلول الأسود في الأردن بدأت أعداد الفدائيين تتقاطر على لبنان، ورفض

عرفات. وللمرة الأولى أكتشف أن أبو جهاد هو نقطة التصالح في فتح. عندما يأتي أبو جهاد يهدأ الجميع ويتصالح الجميع. وفعلاً ما إن أتى إلى بيروت من سورية حتى انتهت الأزمة، واستطاع أن يجد نقطة التلاقي بين الجميع. وتعلمت من أبو جهاد كيفية توحيد الناس وكيف أتعامل مع أناس ذوي ميول متنوعة لتجميعهم حول فلسطين، لأنهم في غير فلسطين ربما لا يتجمعون البتة. هذا درس كبير تعلمته منه، أي كيفية توحيد الناس حول فلسطين. وأذكر أن بعض القوى اللبنانية كانت تطلب منا أن ندرِّب أعضاءها وأن نسلِّح أنصارها أحياناً، لكنهم لا يريدون أي التزام تجاهنا. وكنت أعترض على هذا الشأن؛ فنحن لا نستطيع أن ندرب الناس ونصرف الوقت عليهم ونزودهم بالأسلحة من غير أن يكون لهم أي التزام حيالنا.

حمدان انتشار هؤلاء في المخيمات، بل في القواعد العسكرية. وظهرت خلافات في شأن إدارة العمل السياسي في لبنان. وعندما أصدر ياسر عرفات قراراً بتعيين محمد داود عودة (أبو داود) مسؤولاً عن الميليشيا في لبنان على أن يعاونه زياد الأطرش وأحمد القدوة (الحاج مطلق) رفض حمدان هذا القرار. وبقي الأمر على ما هو عليه حتى حزيران 1972 حينما أمر ياسر عرفات كلاً من أبو صالح (نمر صالح) وأبو الزعيم (عطا الله عطا الله) باحتلال جميع المكاتب التابعة ليحيى عاشور في المخيمات. وفي النهاية نُقل عاشور إلى القاهرة، وتولى هايل عبد الحميد (أبو الهول) مسؤولية إقليم لبنان.

وكان أبو جهاد يقول: يا أخي يكفي أن تقول لهم إن هذه البندقية يجب أن توجه نحو العدو الصهيوني، وتأكد أنهم في يوم من الأيام سيطلقون النار على العدو الصهيوني. وهذا الذي وجدناه بالضبط. فالمقاومة في جنوب لبنان كانت حصاد ما زرعناه. وإسرائيل لم تستطع تحليل هذا الأمر بتاتاً وفوجئت، عندما احتلت جنوب لبنان، بكم هائل من الشباب الذين تدربوا في الثورة الفلسطينية من غير أن يلتحقوا بالثورة الفلسطينية، وكانوا يمتلكون تجربة عسكرية جيدة. فالمقاومة في لبنان وجدت، عند اتخاذها قرار القتال، أن في إمكانها الوقوف على قدميها فوراً لأن الأسلحة متوافرة والتدريب متوافر والعناصر القتالية متوافرة، فاستفادت من تجربة العمل الفلسطيني وراكمت عليه تجربتها الجديدة.

- **في تلك الفترة كان هناك صعود لليسار الجديد بعد ثورة الطلاب في فرنسا في أيار (مايو) 1968، وبعد ظهور جماعات العنف الثوري، وأصبح غيفارا البطل الرمزي لأحرار العالم. وظهرت الألوية الحمراء في إيطاليا، وجماعة بادر ـ ماينهوف في ألمانيا(*). هل كان يعني لك شيئاً صعود اليسار الجديد في تلك الفترة؟**

---

* أسس ماريو موريتي الألوية الحمراء في إيطاليا. أما الجيش الأحمر

ـ بالتأكيد. كنا على اتصال ببعض هذه القوى ممن كانوا يأتون إلى لبنان ولهم ارتباطات بالثورة الفلسطينية. ومع تأييدي لهذا العنف كانت لي ملاحظات على أساليبه. فأنا لم أكن مقتنعاً بأن هذا الطراز من العنف في أوروبا يستطيع أن يغير. لذلك كنا نحاول أن نوجِّه هذا العنف في سياق الصراع الأممي، أي أن يتوجه بضرباته إلى الإمبريالية، وأن تنعكس نتائجه على التضامن مع فلسطين بالتحديد. وكنا نعتقد أن العنف يمكنه أن يلعب دوراً فعلياً في هذا السياق. لكن تنطح هذه القوى إلى تغيير النظام السياسي في إيطاليا أو فرنسا مثلاً لم نكن لنقتنع به. وحتى في الدول العربية، اتصلنا بعدة مجموعات وحاورناها مثل المنظمة الشيوعية العربية والحركة

الألماني، والمعروف باسم «مجموعة بادر ـ ماينهوف» فقد ظهر في 5/ 6/ 1970 بتأثير من أفكار ويلفريد بوزي. وبعد عدة عمليات مثيرة اعتقل كل من أندرياس بادر وأولريكه ماينهوف وغوردون أنسلن، وجون كارل راسبيه في سنة 1972. وقد انتحر هؤلاء في سجن شتوتغارت في سنة 1977. وفي سنة 1992 أعلنت مجموعة بادر ـ ماينهوف وقف نشاطها، ثم أعلنت حل نفسها في سنة 1998. وأبرز الشخصيات التي قادت هذه المجموعة بعد انتحار مؤسسيها: كريستيان كلار الذي حكم في سنة 1983 بالسجن المؤبد ست مرات، وبرجيتا مونهاويت التي أطلقت في أذار 2009 بعد 24 سنة في السجن.

الثورية الاشتراكية اللبنانية اللتين كانتا ظاهرتين تعتنقان العنف وسيلة للتغيير(*).

- **أمثال مرشد شبو(**)؟**

- نعم. واستطعنا من خلال هذه الحوارات أن نجعلهم أكثر التصاقاً بالثورة الفلسطينية، وأكثر تركيزاً على الصراع مع

---

* مارست «المنظمة الشيوعية العربية» الإرهاب، ونفذت عمليات ضد أهداف مدنية في دمشق، فاعتقل البعض من أفرادها بينهم علي الغضبان وهو قائدها وأعدم في سورية. أما «الحركة الثورية الاشتراكية اللبنانية» فقد ظهرت في سنة 1970 ونفذت بعض العمليات ضد مدرسة سليم طراب، وهو يهودي لبناني، وألقى مناضلوها متفجرات على مكاتب لحزب الكتائب، ومتفجرة على مدرسة شملان المشهورة بتخريج الجواسيس للاستخبارات البريطانية.

** ولد مرشد شبو في بلدة برجا الشوفية في سنة 1938، وساهم في سنة 1965 في تأسيس «الجبهة الوطنية اللبنانية». وفي سنة 1968 ساهم أيضاً في تأسيس «الجبهة التقدمية لمكافحة الصهيونية». وفي سنة 1968 أسس «منظمة الاشتراكيين الثوريين»، ثم أسس في سنة 1970 «الحركة الثورية الاشتراكية اللبنانية». ارتبط اسم مرشد شبو بعدد من العمليات العسكرية مثل السطو على بنك أوف أميركا في بيروت سنة 1973 التي استشهد فيها علي شعيب، ونسف مكاتب شركة «بروتيين» في بيروت أيضاً، ونسف معهد الأليانس لليهود في وادي أبو جميل. وتوفي في 1986/8/31 جراء جلطة دماغية.

الإمبريالية وعلى الأهداف الأمريكية، عوضاً عن أن يكون هدفهم النظام اللبناني أو النظام السوري أو الأنظمة العربية، لأن المعركة في نظرنا ليست هناك ولم تكن لتؤتي أي ثمار لها.

● **هذه هي بالضبط فكرة التناقض الرئيسي الماوية؟**

ـ أجل. تعود إلى فكرة التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي. وأعتقد أن الحركة الثورية الاشتراكية اللبنانية كانت أنضج في هذا الموضوع، فركزت عملياتها على مراكز التجسس البريطانية والأمريكية وعلى بنك أوف أميركا، في حين أن المنظمة الشيوعية العربية دخلت في معارك مع النظام في لبنان وسورية وفي سرقة البنوك لتمويل نشاطها، ولكن بعد أن خرج بعض أفرادها من السجن اعترفوا بخطئهم.

● **قلت إنك كنت راقصاً بارعاً. هل كنت تعزف؟ هل كنت ترسم؟ هل كتبت شعراً؟**

ـ كنت وما زلت أكتب نوعاً من السجع ولا أدّعي أنه شعر. كنت عضواً في الفرقة الموسيقية لكشاف التربية الوطنية وعزفت على الآلتو وعلى الطنبور وعلى الكلارينيت. لكن انخراطي في العمل السياسي أبعدني عن النشاط الكشفي

والموسيقي، وتركت هذه الأمور كلها، مع أنني كنت أحبها كثيراً.

● **لم تكتب الشعر وإنما تكتب نوعاً من البوح!**

ـ نعم. تعبير عن المشاعر. ولكنني اشتهرت في كتابة الشعارات الموزونة والرشيقة.

● **في التظاهرات بالطبع.**

ـ في التظاهرات كنت، بلا ادعاء، أهم مَن يكتب الشعارات. فبعض الشعارات يُكتب ولا يُهتف به. والبعض الآخر يُهتف به ومن العسير كتابته. أما أنا فكنت أكتب، قبل دقائق من انطلاق التظاهرة، شعارات تصلح للكتابة وللهتاف معاً.

● **هل تذكر بعض هذه الشعارات؟**

ـ نعم. فأنا صاحب شعار «شوكة بعينين الحكام هَيْ ثورتنا الشعبية، تنظم يا شعبي تنظم بالميليشيا الشعبية»، و«فتح فتح ثورتنا والجماهير محبوبتنا»(*).

---

* من بين هذه الهتافات أيضاً: «صبّوا الميّة عَ الصفصاف فتحاوية

● **مَنْ مِنَ الشهداء الأوائل الذين أثر استشهادهم فيك، من أصدقائك أو من الذين عملت معهم؟**

ـ كان هناك شاب من التنظيم الطالبي استشهد، ليس في عملية عسكرية بل جراء خطأ في أثناء الإعداد لعملية لم تنجح. كان أول شهيد يسقط من التنظيم الطالبي وكان استشهاده صدمة كبيرة لي، كان اسمه رياض شبارو. كنا نحضر لعملية عسكرية لدعم مزارعي التبغ، فقد وجدنا أن أبناء الجنوب يتعرضون للاعتداءات الإسرائيلية وهم يقفون في الخط الأمامي تحت خط الفقر، ويعانون وضعاً اجتماعياً صعباً، ولم تكن الدولة تنصفهم في عملية شراء التبغ. ولم تكتف بذلك بل أطلقت النار عليهم في أثناء إحدى التظاهرات وقتلت بعضاً منهم(*). فكان لا بد من أن نتضامن معهم. وخرج لدينا تحليل مضمونه أن التضامن مع مزارعي التبغ يعطيهم قوة ويقرّبنا منهم ويهز العصا في وجه الدولة كي لا تذهب بالقمع بعيداً. وهكذا ذهب أحد الشهداء من التنظيم في غمرة التضامن مع مزارعي التبغ. وهذا الشهيد كنت أحبه جداً، فكان مندفعاً ولطيفاً ومحبوباً. وبعد ذلك كرّت

ما منخاف»، و«يا دركي ابنك معنا ليش عمالك تقمعنا»، و«آه يا حكام العرب يا رب يصيبهم جرب».

* تظاهرة عمال الريجي في النبطية في كانون الثاني 1973 التي سقط فيها العامل حسن الحايك.

السبحة: القادة الثلاثة في فردان كمال عدوان، ومحمد يوسف النجار، وكمال ناصر(*). هؤلاء لم يكونوا أصدقائي ولكنهم كانوا رموزاً كبيرة.

يومذاك قلنا: إن الخطوط الحمر سقطت ما دامت إسرائيل تأتي إلى بيروت وتغتال القيادات مع عائلاتهم في بيوتهم. وفوراً بدأنا عملية تأطير أمني وتسليح وتشكيلات عسكرية لحماية بيروت من الاعتداءات الإسرائيلية والاستعداد للمواجهة. استشهاد جواد أبو الشعر الذي كان قائداً للميليشيا في لبنان، وهو من الأصدقاء الأثيرين لديّ في الوقت نفسه، أثر فيَّ كثيراً، وأكثر ما ضايقني أنه ذهب في معركة خارج معركة الصراع مع العدو الصهيوني.

● استُشهد في القصف؟

ـ نعم في القصف. كان سائراً في الشارع إبان القصف على بيروت، فسقط صاروخ فوق أحد المباني وأصابته الشظايا فتوفي.

---

* وقعت هذه العملية في شارع فردان في 10/ 4/ 1973 حينما تمكن فريق من العمليات الخاصة الإسرائيلية بينهم إيهود باراك من التسلل عبر زوارق بحرية إلى بيروت، ثم الانتقال بسيارات كانت معدة سلفاً عند شاطىء الرملة البيضاء إلى منازل القادة الثلاثة واغتيالهم.

بين السياسة والأمن

● **إلتحقت بإحدى دورات الأمن في مصر. مَن كان زملاؤك في هذه الدورة التي تحدَّث عنها أبو داوود في كتابه «من القدس إلى ميونيخ»؟**

- لم أكن في عداد دورة أبو داوود. دورته في سنة 1969، وأنا التحقت بالدورة في عام 1974. كنا مجموعة لا تتجاوز الاثني عشر شخصاً، ولكنها كانت تجربة ثرية جداً ومهمة لأسباب عدة. وأنا أريد أن أقص طرفة في هذا المجال من مدرستي الأمنية الأولى قبل هذه الدورة. ففي سنة 1968 بدأ الظهور الأولي للعمل الفدائي في لبنان، وظهرت عدة منظمات وهمية منها واحدة اسمها «الفدائيون العرب». في تلك الأثناء طلب مني الحاج طلال أن أراقب هذه المنظمة لأن أفرادها يتحركون في المنطقة التي أسكن فيها، أي في منطقة المزرعة. فراقبت تحركهم واكتشفت شخصاً من المجموعة يوزع المنشورات ويقوم بجمع التبرعات. وأعربت له عن حماستي لمساعدته، واستعدادي لجمع التبرعات لمصلحته. وبعد أسبوع أصبحت عضواً في هذه المجموعة. واكتشفت، بعد فترة قصيرة جداً، أن عدد أفراد المجموعة لا يتجاوز الخمسة، وأنا أحدهم. ثم بعد تظاهرات 23 نيسان (أبريل) 1969 وتحرر

المخيمات من سطوة المكتب الثاني ووجود الأخ أبو يوسف النجار على رأس اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان، تبخرت هذه المنظمات الوهمية واندثرت(*).

ولكني، بعد لقائي أحد أعضاء المجموعة الوهمية في ما بعد، سألته: لماذا اختفيتم؟ فقال لي: إن المسؤول عن هذه المجموعة فلسطيني وضابط في قوات القادسية، أرسلته المخابرات العراقية ليقوم بهذا العمل في لبنان. أما أنا، يقول هذا العضو، فخالي في جيش التحرير الفلسطيني بسورية أرسلني كي أتجسس، وأكتشف ماذا يريد العراق. فضحكت في سري وقلت: أنتما الاثنان واحد عراقي وواحد سوري وأنا لبناني من فتح كنت أراقبكما لمصلحة فلسطين(**).

---

* في 22/ 10/ 1969 انتفضت المخيمات الفلسطينية في بيروت ضد مخافر الدرك ورجال المكتب الثاني، وتمكنت من طرد المخافر إلى خارج المخيمات ومعها رجال الاستخبارات. ومنذ ذلك الوقت انتهى الاستبداد العسكري في المخيمات، وتولت اللجان الشعبية المحلية إدارة شؤون المخيمات.

** المسؤول عن المجموعة العراقية يدعى محمد الرفاعي. أما ابن أخت الضابط في جيش التحرير الموجود في سورية فيدعى «أبو عبد الله». والاثنان الآخران فتاة مهووسة وشاب متخلّف يستخدم في لصق البيانات الوهمية على الجدران. إذاً، منظمة وهمية من خمسة أفراد، ثلاثة منهم يعملون في ثلاثة أجهزة أمنية مختلفة.

تبدو هذه القصة كالنكتة، لكنني تعلمت منها مدى خطورة العمل الأمني. فمنظمة من خمسة أشخاص قد ترتكب حماقات وأعمالاً سيئة باسم العمل الفلسطيني أو العمل الفدائي، وهي ارتكبت ذلك فعلاً بمجرد أن راحت تجمع التبرعات لمنظمة وهمية. وهذا التصرف هو إخلال بأمن الثورة الفلسطينية وإضرار بها وتشويش عليها. فإصدار البيانات الوهمية الكاذبة يُبعد الناس عن النضال الفلسطيني. وقد أيقنت أن الاختراق الأمني وارد جداً حتى في أبسط الصعد. ولم يخب تحليلي لهذا الأمر، فاكتشفت بعد مرور الأيام أن الشاب الذي أرسلته المخابرات العراقية أصبح مسؤولاً في القوة 17، ومسؤولاً عن أمن الرئاسة قرب جامعة بيروت العربية. والآخر الذي أُرسل من سورية أصبح مرافقاً لنايف حواتمة في الجبهة الديمقراطية(*). وبعد اكتشافي لهما قمت بالإبلاغ عنهما. وقد

---

* ولد في السلط بالأردن سنة 1938، ودرس في جامعة القاهرة. وهناك انضم إلى حركة القوميين العرب. تفرغ للعمل السياسي سنة 1957، وتنقل بين الأردن والعراق وسورية ولبنان، وحكم بالإعدام في الأردن غيابياً، واعتقل في بغداد سنة 1959، وأطلق في نيسان 1963 وأُبعد من العراق فجاء إلى لبنان ثم إلى اليمن. كان عضواً في اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ تأسيسها، لكنه انشق عليها في 22/ 2/ 1969، وأسس «الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين» التي انتهجت خطاً يسارياً مغايراً لخط الجبهة الشعبية.

علّمتني هذه التجربة، على بساطتها، إلى أي مدى تسيء الأجهزة العربية أحياناً إلى القضية الفلسطينية. وكم دفعنا، في الثورة، أثماناً باهظة لمثل هذه التدخلات التي كانت تأتينا من أنظمة عربية عديدة لها باع طويل في هذا العمل. وبعد ذلك بدأنا اتخاذ احتياطات أمنية في بيروت، وإجراء دورات أمنية داخلية، فيأتي كوادر من جهاز الأمن لإلقاء محاضرات عن الضرورات الأمنية. ثم تمَّ اختياري لأكون ممثلاً للطلاب في جهاز الأمن، والتحقت بدورة أرقى في لبنان. ثم عندما قرروا أن يرسلوا كوادر إلى مصر لتدريب ضباط لقيادة جهاز الأمن، اختارني مسؤول الأمن المركزي الشهيد هايل عبد الحميد (أبو الهول)، وكان يعرفني شخصياً، لهذه الدورة(*). وضمت هذه الدورة، التي جرت في سنة 1974 نحو 12 ضابطاً فقط برتبة نقيب في المخابرات. وكان المدرب عقيداً مصرياً ومسؤولاً

---

* اسمه الكامل: هايل عبد الحميد عيسى. ولد في صفد سنة 1942، ولجأ مع عائلته إلى سورية في سنة 1948. أسس في دمشق منظمة «عرب فلسطين» وكان معه فيصل حوراني وأنيس الخطيب وصبحي عرب ومازن النقيب وآخرون. سافر إلى ألمانيا للدراسة، وهناك تعرّف إلى هاني الحسن وأنشأ مجموعة انضمت لاحقاً إلى حركة فتح. تولى مسؤولية جهاز الأمن المركزي في الأردن بين 1967 و1970، ثم في لبنان بين 1972 و1982. اغتيل في تونس في 14/ 1/ 1991 بينما كان برفقة صلاح خلف (أبو إياد) وفخري العمري (أبو محمد).

عن الدورة. وقد استفدنا جداً من المخابرات المصرية وتجاربها. ثم استفدنا من زيارة خط بارليف بعد حرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973 والتقينا قائد الجيش المصري الثالث الذي كان حوصر بعد ثغرة الدفرسوار. وقد شرح لنا القائد تفصيلات المعارك العسكرية وكيف اجتاز الجيش المصري هذه السواتر الترابية العالية وحقق إنجازاً عسكرياً يسجل له في التاريخ(*).

- **في المناسبة، ما رأيك بكتاب أبو داوود؟**

ـ كتاب جيد، وأنا أحبذ أن يكتب الناس مذكراتهم، وأن يضعوا خلاصة حياتهم كتجربة شخصية. ولكن الشخصانية هي الخطأ الكبير التي تلتصق بالإنسان حينما يرغب في أن يكتب مذكراته الشخصية، كأن يحمّل نفسه مهمات أكثر من غيره، ويهمش دور الآخرين ليتحدث عن دوره. ثم إن هذه الصوابية الدائمة ليست صحيحة. الإنسان ربما يتذكر المواقف القوية التي كان فيها على صواب، ولكنه، نفسياً، يتناسى المواقف العديدة التي كان فيها على خطأ. وعندما يريد أن يدوّن مذكراته

---

* قائد الجيش الثالث هو اللواء عبد المنعم واصل. أما الذين خضعوا لدورات أمنية في مصر فأبرزهم علي سلامة (أبو حسن) وغازي الحسيني وفخري العمري وأبو رجائي ومحمد صبيح ومهدي بسيسو (أبو علي) وأحمد البحيصي.

يتذكر المواقف السليمة ويتناسى المواقف الخاطئة. إنها مسألة نفسية. وكتاب أبو داوود من هذا الطراز(*).

- **اغتيال كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار في 10 نيسان (ابريل) 1973 هل هناك ما تضيفه من معلومات إلى الرواية المعروفة؟ مَن ساعد القتلة على التخفي في بيروت وعلى النزول على شاطىء الرملة البيضاء، وعلى تأمين خروجهم مجدداً من بيروت؟**

- كانت لدينا شكوك في ذلك الوقت، في بعض السفارات الأجنبية. وأثبتت حصيلة التحقيق أنه كان هناك نوع

(*) صدر هذا الكتاب بالفرنسية في سنة 1999، ثم بالعربية بعنوان «فلسطين: من القدس إلى ميونيخ» (بيروت: دار النهار، 1999). واسم أبو داوود الأصلي هو: محمد داوود عودة. ولد في سلوان سنة 1937، ودرس الحقوق في جامعة دمشق. عمل في السعودية، وهناك تعرّف إلى أحمد القدوة ابن عم ياسر عرفات، ثم إلى صلاح خلف، فانضم إلى حركة فتح سنة 1962. شارك في التخطيط لعملية ميونيخ التي وقعت في 5/ 9/ 1972، ثم اعتقل في أثناء تسلله إلى الأردن من الحدود السورية لتنفيذ عملية عسكرية وسجن في معتقل الجفر في شباط 1973، لكن أُطلق سراحه قبيل اندلاع حرب تشرين الأول 1973. وبعد صدور كتابه منعته إسرائيل من العودة إلى الضفة الغربية، وفصلته حركة فتح من عضوية المجلس الثوري لكشفه أسراراً عن دور ياسر عرفات والرئيس محمود عباس في عملية ميونيخ. ومنذ ذلك الوقت يعيش في دمشق.

من التقاطع بين عدة أجهزة استخبارات، ولم تكن إسرائيل وحدها التي قامت بالعملية. وقد تكون الأجهزة الأخرى لا تعلم تماماً موعد التنفيذ، ولكن البعض شارك في جمع المعلومات والرصد. إن أحد الذين كانوا يعملون في مكتب القائد العام ياسر عرفات إنهار واعترف. فقد كان يعتقد أنه يعمل لمصلحة المخابرات الأردنية. وأنه عندما أبلغ مسؤوله الذي اتصل به أن القادة الثلاثة ذهبوا إلى بيوتهم ثم وقعت عملية فردان، اكتشف أن هذه المعلومة ذهبت إلى إسرائيل ولم تذهب إلى المخابرات الأردنية. في بداية التحقيق ظن البعض أن هناك تنسيقاً كاملاً بين المخابرات الأردنية والإسرائيلية من أجل عمل مشترك. وهذا هو ما كان عليه الانطباع الأول. وظن البعض أن هناك عدة أيادٍ عربية وإسرائيلية وأميركية ضالعة في المخطط. ثم تبين، في ما بعد، أنها لم تكن كذلك. فضباط الموساد كانوا يدَّعون أنهم مخابرات أردنية ويتقربون من البعض بصفة كونهم عرباً، فتسهل عليهم عملية التجنيد. وفي تجارب أخرى اكتشفنا أنهم يتقربون من عناصر الثورة بصفة كونهم ضباطاً في بعض أجهزة المخابرات العربية وأحياناً الأوروبية. وأحدهم جنَّد شخصاً بصفة كونه عضواً في مخابرات حلف الناتو، وهو لا يريد أي سوء للقضية الفلسطينية أو للفلسطينيين، ولكنه يريد أن يحمي الساحة الأوروبية من أي اعتداء أرعن. ثم تبين أنه ضابط في الموساد.

المسألة كانت معقدة جداً، ولكن، للأسف، أقول إن المسألة الأمنية، على الرغم من التجربة الغنية للثورة الفلسطينية، لم تصل إلى المستوى المطلوب بتاتاً. والإسرائيليون اعترفوا، في مذكرات بعض ضباطهم، أنهم استعملوا سياسة الإغراق الأمني. أي إنهم كانوا يجنِّدون عدداً كبيراً جداً كي يصبح هناك إرباك في المراقبة الأمنية، بحيث لا يصدق أحد أن هناك عدداً بهذا الكم من الجواسيس.

* * *

مقدمات الحرب الأهلية
والتجاوزات الفلسطينية
في لبنان

- **كمناضل لديك معرفة بشؤون الأمن، لماذا وقعت أحداث الثاني من أيار (مايو) 1973 بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية؟**

ـ الأحداث كانت متوقعة منذ أن بدأت المقاومة الفلسطينية تستقر في لبنان. كنا نرصد تحركات الوفود الأجنبية وبعضها بريطاني، وتحركات السفارة الأميركية، وكانت كلها تشير إلى أنها تحضر لصدام بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية على غرار ما حصل في أيلول (سبتمبر) 1970 في الأردن. السؤال ليس لماذا وقعت أحداث أيار (مايو) 1973، بل لماذا توقفت بهذه السرعة وبموقف عربي حاسم جاء به يومها عبد المنعم رياض. كانت مصر وسورية تحضران لحرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973، ولو لم تتخذ مصر وسورية ذلك الموقف الحازم لتوسعت الاشتباكات بشكل كبير. أنا من الأشخاص الذين عايشوا تلك الفترة، وعلى الرغم من أننا كنا نتوقع الصدام إلا أن القيادة الفلسطينية لم تستعد له. فهي كانت تسعى دائماً إلى التهدئة. إن الذي أنقذ الوضع هو الموقف العربي المصري والسوري الجاد والقوي، والذي جرى إبلاغه

إلى النظام اللبناني ومضمونه: إن هذا غير مسموح به بتاتاً.

- **هل كانت أحداث أيار (مايو) 1973 مجرد تمرين ومقدمة لما سيحصل عام 1975؟**

ـ السيناريو تغير تماماً بين سنة 1973 وسنة 1975، لأن استراتيجية الصدام مع المقاومة الفلسطينية تغيرت. ما حصل أن الاستراتيجية الأولى كانت تقول إن الدولة اللبنانية بأجهزتها وجيشها وقواها المسلحة هي التي يجب أن تصطدم بالمقاومة على غرار ما حصل في الأردن. لكن الإنذار القوي من مصر وسورية شلّ قدرة النظام اللبناني على القيام بهذه المهمة. في سنة 1975 صارت الاستراتيجية الجديدة هي إشراك القوى اللبنانية بهذه المهمة. وكانت محطة «الجزيرة» القطرية أذاعت اعترافاً واضحاً لكريم بقرادوني الذي أورد أن الرئيس سليمان فرنجية دعا بيار الجميّل وكميل شمعون إلى القصر الجمهوري وقال لهما: من اليوم فصاعداً عليكما الاعتماد على محازبيكما لأننا لا نستطيع أن ندافع عنكما وعن لبنان ضد المقاومة الفلسطينية(*). هذا الكلام تحول إلى استراتيجية «لبننة

---

* بعد تدمير مخيم النبطية في سنة 1974 عاتب قادة المقاومة الرئيس سليمان فرنجية لعدم قيام الجيش اللبناني بحماية المخيم وسكانه فأجابهم: «أنا لا أستطيع حمايتكم، فاتكلوا على أنفسكم»، وسمح

الحرب»، أي عوضاً عن أن تقوم الدولة اللبنانية، التي هي مجموعة توازنات سياسية وطائفية واجتماعية، بخوض معركة قوية ضد المقاومة الفلسطينية، تقوم مجموعات بهذا العمل. إنها تجربة «الفتنة»، أي استخدام طرف لبناني للقيام بالحرب الداخلية على أن تكون الدولة داعمة لهذه الحرب بقدر الإمكان. ومنذ ذلك الوقت بدأت عملية تسليح الأحزاب اليمينية اللبنانية وتدريب عناصرها(*).

● **بواسطة ضباط من الجيش اللبناني؟**

ـ نعم، بواسطة ضباط من الجيش. وكانت الأسلحة تأتي إلى مرفأ جونية ويتم تفريغ الأسلحة في مخازن الشعبة الثانية. ومن هناك كانت الشعبة الثانية توزع الأسلحة كما يحلو لها. وهذه الأسلحة، في معظمها، أميركية. وأحياناً يكون السفير

لهم باقتناء أسلحة مضادة للطائرات ونصبها حول المخيمات.

* في الحقيقة فإن التدريب العسكري قديم جداً في حزب الكتائب الذي أُسس على تقاليد الفاشية الإسبانية. أما التدريب والتسليح في المرحلة التي سبقت الحرب الأهلية فقد بدأ فور توقيع اتفاقية القاهرة في 3/ 11/ 1969، ثم أُنشئت فرقة (ب.ج.) أي بيار الجميل (ويمكن أن تُقرأ فرقة بشير الجميل أيضاً). وفي سنة 1973 أصبح التدريب العسكري مركزياً، وفي سنة 1976 بوشر بإقامة الثكنات العسكرية.

الأميركي على المرفأ في انتظارها. وبعضها كان يصل بواسطة المهربين الذين يستخدمون شركات إسرائيلية كانت تشتري لهم الأسلحة من مصادر متعددة في أوروبا ثم ترسلها إلى لبنان. وحتى في بعض المراحل أرسلت أجهزة استخبارات أوروبية غربية يمينية كميات من الأسلحة إلى الكتائب وحزب «الوطنيين الأحرار»، وتورطت فلول من المرتزقة الفرنسيين في هذا الأمر(*).

● مثل بوب دينار؟

- نعم، بوب دينار. لكن خلف بوب دينار كانت تقف جماعات أخرى هي التي أرسلت الأسلحة إلى لبنان(**).

---

* اشتُهرت جداً فضيحة «الأكوامارينا». ففي 6/ 11/ 1975 رست باخرة في ميناء صغير في جونية يدعى «الأكوامارينا»، ويملكه تاجر السلاح المعروف بطرس الخوري، وعلى متنها أسلحة لأحزاب «الجبهة اللبنانية»، فطلب رئيس الحكومة ووزير الدفاع آنذاك رشيد كرامي من قائد الجيش حنا سعيد حجز الباخرة فرفض. أما الضباط فعُرف منهم سامي الشدياق وشربل بركات.

** مرتزق فرنسي ولد سنة 1928، متزوج يهودية مغربية تدعى جيزيل ريبوح. والده كان شيوعياً ومناوئاً لاشتراك فرنسا في الحرب الفيتنامية. انضم بوب دينار إلى الجيش الفرنسي، وقاتل في الهند الصينية، ثم ترك الجيش ليؤسس فرقة من المرتزقة كانت تعمل بالتنسيق مع المخابرات الفرنسية. ساهم في عدد من الانقلابات

● **هل كان هناك دعم عربي للكتائب في تلك الفترة؟**

ـ نعم، تورطت، للأسف، بعض الأطراف العربية في هذه اللعبة. ولأن المخطط كان أميركياً فقد جاء بعض الدعم المادي من المملكة العربية السعودية في الفترة الأولى.

● **والأردن؟**

ـ والأردن بطبيعة الحال. لكن الأموال كانت سعودية. الذي حصل أن هذا الأمر كُشف بسرعة وكان نتيجة لعملية تعمية. فقد تمكن النظام اللبناني والكتائب من إقناع السعودية بأن هناك خطراً شيوعياً يتهدد لبنان، وبالتالي يجب ضرب المقاومة وتسليح القوى والأحزاب اليمينية. فدفعت السعودية أموالاً ولم يعرف المسؤولون فيها أبعاد هذه العملية. وعندما بدأت الحرب اتضح أنها حرب أهلية لبنانية تستهدف المقاومة الفلسطينية. وحصلت مصارحة بين كمال جنبلاط وياسر عرفات من جهة، والسعودية من جهة أخرى، أدت إلى أن تغير المملكة السعودية موقفها، وأرسلت عتاداً، إذا صح التعبير، من ألبسة عسكرية وأسلحة خفيفة للمقاومة الفلسطينية لتصحيح الوضع.

التي وقعت في جزر القمر في سبعينيات القرن العشرين، وقتل خلالها رئيسان هما علي صويلح وأحمد عبد الله. سجن في فرنسا سنة 1993 بتهمة تدبير انقلاب فاشل في جمهورية بينين الافريقية.

• **في تلك الفترة كان الكلام يدور على التجاوزات الفلسطينية الكثيرة. والآن، بعد ثلث قرن من الزمان، هل كانت هناك فعلاً تجاوزات خطيرة، أم أنها كانت جزءاً من الدعاية المضادة ضد المقاومة الفلسطينية كمقدمة لقتالها أو لتوريطها في قتال محلي؟**

ـ كنا نعرف منذ ذلك الحين، وليس بعد 33 سنة، أن هناك تضخيماً كبيراً لمسألة التجاوزات. إن مجرد وجود قوى سياسية مسلحة سيؤدي، حتماً، إلى نوع من المشاحنات والاحتكاكات بين مَن هو المسؤول عن الأمن في هذه المنطقة أو تلك. ولكن في العموم أنا أُعيد هذه الأمور إلى أخلاقيات المقاتل الفلسطيني وغير الفلسطيني الذي كان ينضوي تحت لواء المنظمات الفلسطينية. الشهيد جواد أبو الشعر لفتني، وكان جاء بكتاب عنوانه «سلوكية المقاتل»، إلى سلوك الجيش الفرنسي في الهند الصينية وفي الجزائر، وكيف تصرفت القوات الأميركية في فييتنام.

• **اليابانيون فعلوا الأهوال في كوريا والصين واسترقوا النساء. والقوات الأميركية ارتكبت الفظاعات في العراق، وهذه الفظاعات لم تحدث في بيروت إطلاقاً.**

ـ لا تنسَ ما حدث في البوسنة والهرسك وكوسوفو. إن

أحد القادة البريطانيين في البوسنة متهم بعشرات عمليات الاغتصاب ضد فتيات مسلمات. عندما ننظر إلى المقاومة الفلسطينية في لبنان نرى أن هناك ملاكاً كان اسمه الفلسطيني. لم تسجل أي حوادث من هذا النوع في جنوب لبنان. لم تسجل إلا حادثة مصطنعة في قضاء حاصبيا لفتاة صعدت في سيارة عسكرية لإيصالها إلى مكان ما. أثارت هذه الحادثة الشبهات وأقامت الضجة ولم تقعدها، ولم يثبت أنّ هناك أي محاولة اعتداء. وعلى الرغم من ذلك حوكم المقاتل وسجنته المحكمة مجاراة للوضع الشعبي. لم تكن هناك تجاوزات جدية، فالحوادث اليومية في لبنان كانت أكبر من التجاوزات الفلسطينية(*).

- **ما جرى في هذا المجال بعد خروج المقاومة من لبنان 1982 أكثر بكثير.**

- نعم، ما جرى بين اللبنانيين أنفسهم مخيف. وهذا يدل على سلوكية المقاتل الذي كنا نتحدث عنه. إنَّ سلوكية المقاتل

---

* اشتُهرت هذه الحادثة باسم صاحبها «أبو حميدو» الذي اتهم باغتصاب فتاتين. وثبت، لاحقاً، أن أبو حميدو لم يغتصب الفتاتين، بل كان الأمر مجرد تحرش بسيط، وليس ضد رغبة إحدى الفتاتين على الأقل.

الفلسطيني في ظل قيادة الثورة الفلسطينية كانت منضبطة جداً. اللبنانيون أنفسهم مارسوا شناعات مروعة ضد بعضهم(*). وعند الاطلاع على جرائم سرقة السيارات في لبنان وجدت أنها كانت عمليات عصابات عادية لا زالت تعمل حتى اليوم في لبنان. السيارات المسروقة في فرنسا وفي باريس بالتحديد يتجاوز عددها ثلاثة أضعاف ما كان يسرق في لبنان خلال أشهر. في ليلة واحدة في باريس تسرق 100 أو 200 سيارة.

- **ما كان دور أجهزة الاستخبارات العربية والأجنبية في تغذية الكلام على التجاوزات الفلسطينية وتحديداً في الجنوب؟**

ـ مشكلة الثورة الفلسطينية مع الأجهزة العربية متعددة

---

* مثل «السبت الأسود» في 6/ 12/ 1975 الذي قُتل فيه 70 شخصاً على الأقل، وقاد هذه العملية المجرم جوزف سعادة. ومثل مجزرة إهدن في 13/ 6/ 1978 التي قُتل فيها النائب طوني فرنجية وزوجته وابنته علاوة على نحو 30 من أتباعه. وقاد هذه المجزرة سمير جعجع. ومثل مجزرة الصفرا في 7/ 7/ 1980 التي قادها بشير الجميل بنفسه ضد ميليشيا نمور الأحرار وقتل فيها نحو 150 شخصاً. وهذه الميليشيات، وبالتحديد «القوات اللبنانية»، عبارة عن مزيج من العصابات والمجرمين والمقاتلين يديرون صالات القمار والألعاب المحظورة وتهريب المخدرات، ولا يتورعون عن نهب المؤسسات مثل ميناء بيروت، ويمتهنون القتال في الوقت نفسه.

الجوانب. لم تكن الأجهزة العربية وحدها التي تشيع الشائعات ضد الثورة الفلسطينية. هذا جزء من دور أجهزة أخرى كانت تنشط في محاربة الثورة الفلسطينية. ولكن المخابرات السورية كان لها الحق في المتابعة الأمنية في الثورة الفلسطينية، لأن عناصر الثورة الفلسطينية كانت تدخل إلى سورية وتخرج منها بسهولة، أي بالبطاقات العسكرية. وكان لهم حق المتابعة الأمنية داخل تشكيلات الثورة الفلسطينية لكي يعرفوا مَن هو الجاسوس، ومَن هو غير الجاسوس. وثمة ما يسمى العمليات من خلف السواتر، أي استخدام الفلسطينيين في تنفيذ عمل لا تريد أن تقوم به هذه المخابرات العربية أو تلك لقضية ربما لا تخدم الثورة الفلسطينية. هذا كان في الجانب العراقي مثلاً والمصري إلى حد أقل. وكم اكتشفنا بالتجارب شبكات تعمل في مصر لمصلحة إسرائيل لها امتدادات في مخيمات لبنان، وكانت متابعتها تقتضي مجيء عناصر من المخابرات المصرية إلى المخيمات. أو أن شبكات في لبنان جذرها موجود في غزة ولها امتدادات في مصر، فكانت الأجهزة الأمنية الفلسطينية تبلغ المصريين للتعامل معها. إذن، كان لا بد في بعض الأحيان من التعاون مع المصريين، بينما لم يكن التعاون ممكناً مع الأجهزة الأردنية، مع أن المنطقي هو أن يكون التعاون أكبر مع الأردن، لأن الأردن هو طريق العبور من الضفة الغربية إلى لبنان.

- **بسبب الصراع الأردني ـ الفلسطيني حينذاك؟**

ـ لم تكن هناك ثقة بين الطرفين. والكل يعلم الآن أن التنسيق الأمني الإسرائيلي ـ الأردني كان أكبر بكثير من التنسيق الفلسطيني ـ الأردني للأسف.

- **هل كان واضحاً دور المكتب الثاني اللبناني في تلك الفترة؟**

ـ كنا نعلم أن الذي يقود الجيش وسياساته في مواجهة الثورة الفلسطينية، أكان تنسيقاً أو تخريباً، هو الشعبة الثانية. وهذا يعد أمراً طبيعياً، لأن أي جيش له قيادة أركان، وعقله عادة ما يكون في أجهزة الاستخبارات التي تجمع المعلومات وتضع الاحتمالات. فالجيش يضع الخطط بناء على المعلومات والاحتمالات. فإذا جاءت جهة ما وصبت مجموعة من المعلومات السلبية عن الطرف الآخر فستأخذ القيادة الحذر. لهذا الشأن يكون للشعبة الثانية، في العادة، دور مهم، ولاسيما أن السياسيين في لبنان ليس لديهم الأفق الواسع كي يسيطروا على الأجهزة، بل بالعكس، كان السياسي يذهب ويأتي غيره بينما الجهاز الأمني يبقى راسخاً وقادراً على التحرك في شتى الظروف.

- **ما دور الفصائل الفلسطينية التي كانت تخدم هذا الطرف العربي أو ذاك في تأجيج نزعة العداء للفلسطينيين؟ وسأعطي مثالاً على ذلك أبو الزعيم (عطا الله عطا الله) المتهم بخطف ناصر السعيد وتسليمه إلى المملكة العربية السعودية. وهذا العمل ليس من مهمات الثورة الفلسطينية بالطبع. لقد كانت هناك أطراف أو أجهزة أو أفراد أو منظمات خدمت هذا الطرف أو ذاك، ولعلها ساهمت في خلخلة البنية الداخلية للمقاومة الفلسطينية.**

- نعم، هذا المثال سيىء لأن له طابعاً سياسياً وليس طابعاً أمنياً فقط. غير أنني أتفهم أن أجهزة الأمن في المقاومة الفلسطينية، وخاصة بعد زيارة الرئيس أنور السادات القدس في سنة 1977، رزحت تحت التزامات جديدة؛ فمؤتمر جبهة الصمود والتصدي ألزم الجميع بالتنسيق العسكري والأمني(*).

---

* عقد مؤتمر الجبهة القومية للصمود والتصدي في طرابلس الغرب في 1/ 12/ 1977 للرد على زيارة أنور السادات القدس. وحضر المؤتمر سورية وليبيا والعراق واليمن والجزائر ومنظمة التحرير الفلسطينية. أما أبو الزعيم فهو ضابط في الجيش الأردني اسمه الأصلي عطا الله عطا الله. التحق بحركة فتح بعد أحداث أيلول 1970، وأقام في لبنان، وتزوج فادية أبو رجيلي من بحمدون، وأصبح المسؤول عن الأمن العسكري في حركة فتح. أُقصي من مهماته بعد ضلوعه في اختطاف ناصر السعيد، وعيِّن مستشاراً

وفي أحد الاجتماعات الأمنية التي لم يعلن عنها، والذي حضرته الأجهزة الأمنية كافة للدول التي شاركت في جبهة الصمود والتصدي، تمَّ الاتفاق على تبادل المعلومات الأمنية. وهذا الاتفاق ألقى على كاهل أجهزة الأمن في الثورة الفلسطينية أعباء جديدة، فكان بعض الأجهزة ينسق مع سورية وبعضها مع العراق والبعض الآخر مع ليبيا وهكذا. ومن جملة الاتفاقات أن تقوم بعض الأجهزة الفلسطينية بتبادل المعلومات الأمنية مع دول عربية كالسعودية. أنا لا أعتقد أن أبو الزعيم تصرف بمفرده، مع أن القيادة الفلسطينية لم تتحمل وزر ذلك العمل الذي قام به. وهذا هو دور الأجهزة في أن تتحمل الأعمال الوسخة. ولكن الخلفية الحقيقية أن أجهزة الثورة الفلسطينية كانت مرتبطة باتفاقات أمنية ليس مع دول عربية فقط، بل مع دول أوروبية مثل فرنسا وإيطاليا اللتين وقعتا منذ سنة 1974 اتفاقات أمنية مع الأجهزة الأمنية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وكان هناك تعاون أمني وتبادل للمعلومات لتأمين الحماية المزدوجة للأطراف وللمصالح المشتركة.

عسكرياً لياسر عرفات. وبعد الخروج من لبنان في سنة 1982 حاول أن ينشق على حركة فتح ففشل. واشتُهر في لبنان ومصر بسلوكه السيء.

● **إذن، جاء اختطاف ناصر السعيد في سياق هذه الاتفاقات؟**

ـ نعم. والثورة الفلسطينية لا تستطيع الاعتراف بأن اختطاف ناصر السعيد جاء بناء على الاتفاق الأمني بين الأجهزة. لكنني أعتقد أن الاختطاف لم يكن عملاً فردياً(*).

● **تماماً كما حصل لأحد أجنحة الجيش الأرمني السري بعد الاتفاق الأمني مع فرنسا.**

ـ تماماً. انتهى دور الجيش الأرمني السري، لهذا جرى تسليم بعض أفراده وتوقفت المساعدة للآخرين(*).

---

* ناصر السعيد مناضل عمالي ومعارض سعودي. أقام في القاهرة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، وفي عهد السادات بدأ التضييق عليه فانتقل إلى دمشق. ألّف كتاب «تاريخ آل سعود»، وهو كتاب فضائحي لا قيمة علمية له، وفيه يتهم آل سعود بأنهم من أصول يهودية. اختطفه أبو الزعيم في بيروت وسلمه إلى السفير السعودي علي الشاعر الذي نقله بالطائرة إلى السعودية وانقطعت أخباره منذ ذلك الحين.

* أسس الجيش الأرمني السري أغوب أغوبيان، وهو أرمني عراقي كان عضواً في «المجال الخارجي» الذي كان وديع حداد يتولى قيادته. وعُرف أغوب أغوبيان في الوسط الفلسطيني باسم

● عجيب!.

* * *

«مجاهد». وقد اغتيل في اليونان في سنة 1988. ومن العمليات التي اتهم بها اغتيال الملحق العسكري الفرنسي في لبنان الكولونيل كريستيان غوتير في أيلول 1986 رداً على اعتقال السلطات الفرنسية فاروجان غاربيديان بعد عملية مطار أورلي في سنة 1983. وقد أسس هذا الجيش في سنة 1975، ونفذ أولى عملياته ضد مجلس الكنائس العالمي في بيروت بتهمة ترحيل الأرمن من الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط إلى أميركا. ويختصر اسم هذا الجيش بكلمة «أسالا».

الحرب الأهلية
وكمال جنبلاط
والكتيبة الطلابية

● **اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية في 13 نيسان (ابريل) 1975، وقبلها كانت حادثة اغتيال معروف سعد(*). مَن اغتال معروف سعد؟**

ـ ليس لدي دليل مادي، لكن لدي تحليل أولي. حينما

---

* ولد معروف سعد سنة 1910 في صيدا، سافر سنة 1935 إلى حيفا وعمل معلماً في إحدى مدارسها، وشارك في أعمال المقاومة مع عبد القادر الحسيني. عاد إلى صيدا سنة 1936، وراح يشارك في النضال الوطني ضد الانتداب الفرنسي، وانضم إلى الحزب السوري القومي، وتطوع للقتال في منطقة طولكرم في فلسطين سنة 1937 تحت قيادة إبراهيم الحاج محمد. ترك الحزب السوري القومي، وتابع نضاله في سورية وفلسطين ولبنان، واعتقل عدة مرات، وشارك في معركة المالكية ضد القوات الصهيونية سنة 1948. ترشح للانتخابات النيابية سنة 1957 ففاز، وتكرر فوزه في دورات 1960 و1964 و1968. قاد المقاومة الشعبية ضد حكم كميل شمعون في صيدا سنة 1958، وعارض احتكار الصيد البحري وخرج على رأس تظاهرة للصيادين في 26/ 2/ 1975، فأطلقت النار على التظاهرة وأصيب في رأسه وتوفي في 6/ 3/ 1975، وكانت وفاته الشرارة التي أشعلت الحرب الأهلية. أما نعيم مغبغب المولود في عين زحلتا سنة 1910 فكان نائباً عن الشوف في سنة 1953 ووزيراً سنة 1954. اغتيل في سنة 1959 عقب «ثورة 1958» ضد كميل شمعون. واشتهر

وقعت حادثة اغتيال معروف سعد تذكرت فوراً حادثة اغتيال نعيم مغبغب في سنة 1958. فعندما يتم اغتيال زعيم مثل معروف سعد، فالمتوقع أن تكون ردة الفعل كبيرة، وربما ينجم عنها صدامات مع الدولة. يومها وجهت أصابع الاتهام إلى الأجهزة الأمنية اللبنانية السرية. وهذه، بالطبع، ليست مجرد عملية يقوم بها أفراد من الدرك أو الشرطة، فهؤلاء لا يجرؤون على اغتيال معروف سعد. كان هناك قناص أطلق النار على رأس معروف سعد، ووجهت الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية الاتهامات إلى الأجهزة اللبنانية. كان المطلوب من حادثة الاغتيال إشعال أزمة كبيرة في صيدا، ولكنها طوقت. فجاءت مجزرة عين الرمانة في 13/ 4/ 1975 لتفلت زمام الأمور ولتشعل الحريق الكبير. وأنا أعتقد أنه لو لم تقع مجزرة عين الرمانة في ذلك الحين، فقد كان علينا أن ننتظر بضعة أسابيع كي تقع حادثة أخرى، لأن القرار الدولي كان اتُخذ، ولم يكن سراً في أي حال. فالولايات المتحدة الأميركية، وكيسنجر بالتحديد، اتخذا قراراً بتوريط الثورة الفلسطينية في حرب داخلية لبنانية. وليست مصادفة أن يكون رأس الحربة حزب

بإطلاقه النار على أحد الأشخاص في نيسان 1944 الذين حاولوا تعليق العلم الفرنسي على البرلمان اللبناني، فحكم بالسجن 16 شهراً أمضى منها شهرين فقط.

الكتائب اللبنانية وحزب الوطنيين الأحرار واليمين اللبناني بدعم من الأجهزة الأمنية اللبنانية(*).

- **كانت منظمة التحرير قبل العام 1975 حققت انتصارات كبيرة مثل اعتراف مؤتمر الرباط بها في سنة 1974 ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، ثم خطاب ياسر عرفات في الأمم المتحدة، فضلاً عن الفاعلية العسكرية داخل الأرض المحتلة. وحيال هذه الانتصارات كان لا بد من أمر آخر، كان لا بد من حروب إلهاء.**

ـ كان هناك أيضاً فصل قوات على الجبهة المصرية، ومؤتمر جنيف. والفلسطينيون لم يكن لهم دور، لا في عملية فصل القوات ولا في مؤتمر جنيف. وكان معروفاً أنه لو جرى إرغام مصر وسورية على السير نحو العملية السلمية من دون

---

* يقول ولبر كرين إيفلاند رجل المخابرات الأميركية إن الرئيس فورد أعلن في 30/ 4/ 1975 انسحاب الولايات المتحدة من فيتنام. وإن الحرب في لبنان هي من تخطيط هنري كيسنجر لإلهاء العالم عن المشاكل الأخرى لأميركا. وبدافع من الرغبة في السيطرة على الأزمات الاقتصادية وعلى أزمة الطاقة التي خلفتها حرب 1973 بدأ كيسنجر ينفذ سياسة جديدة آملاً في أنها ستؤدي إلى تبخر الفلسطينيين، وإن محطة CIA في روما وكذلك إسرائيل ساعدا الميليشيات المسيحية في تنفيذ هذه الخطة.

منظمة التحرير الفلسطينية فستواجهان معارضة فلسطينية قوية. إذن، يجب أن يغرق الفلسطينيون في حرب داخلية كي تشل قدرتهم على المعارضة والتأثير.

- **يحاول حزب الكتائب اليوم، بل منذ فترة، أن يتملص من مسؤوليته عن حادثة عين الرمانة. في رأيك مَن الذي نفذ حادثة البوسطة؟**

- ليس مهماً جداً من نفذ الهجوم. إن حجم الاختراق الأمني داخل حزب الكتائب وبالذات من الأجهزة الأمنية اللبنانية كان كبيراً جداً. والتدريب كان يتم على أيدي الأجهزة، والتسليح من عندها أيضاً، وحتى العناصر كانت منها. وفي ذلك الوقت لم يكن منطقياً الفصل بين الأجهزة اللبنانية وأجهزة الأحزاب اليمينية. وبالتالي يصبح من غير المهم من الذي قام بهذه العملية. هل هي عناصر مشتركة كتائبية وأمنية لبنانية، أم هي عناصر من الأجهزة الأمنية كانت في حزب الكتائب(*)؟

---

* حقق القاضي محمد علي صادق في جريمة عين الرمانة (13/ 4/ 1975) واستنتج أن عناصر من حزب الوطنيين الأحرار هم الذين ارتكبوا الجريمة («السفير»،11/ 4/ 2007).

• في سنة 1976، بعد التطورات الدموية للأزمة اللبنانية وفشل جميع محاولات التهدئة تدخلت سورية. هل تعتقد أن الصدام مع سورية كان حتمياً؟ ألم يكن بالإمكان تجنب القتال؟

ـ نعم، كان ممكناً تجنبه. يومذاك كنا نصدر جريدة «الأرض» وقد أوقفت بناء على مقالات نشرناها ندعو فيها إلى وقف هذا الصدام، وندعو إلى عدم التهجم على الجيش السوري لأنه جيش حرب تشرين. وكنا نعتقد أن هذه التناقضات ثانوية ويجب أن تحل بالتفاهم. وقد اعتبر البعض أن هذا الكلام يخفف من التعبئة لدى المقاتلين فأوقف الجريدة. الآن، بعد مرور أكثر من ربع قرن، أصبحت أتفهم موقف القوى الفلسطينية وموقف سورية معاً. ما كان يجري حينذاك أن كل طرف كان في وادٍ بعيد عن الآخر، ولم يتصارعا على النقطة نفسها. البعض كان يظن أن الصراع هو على النفوذ في لبنان، وهو مخطىء لأن الفلسطيني كان يريد أن يحقق من انتصاره في الحرب الأهلية اللبنانية انتصاراً في فلسطين، لا أن يحكم لبنان. أي أنه كان يريد أن يخرج منتصراً فلا يقضى عليه. أما السوري فكان يخشى أن يكون الانتصار الفلسطيني مدعاة لتدخل إسرائيلي مباشر في لبنان بحجة إنقاذ المسيحيين. وكان السوري يقول إنه لا يستطيع خوض الحرب ضد إسرائيل

منفرداً. الحرب المشتركة مع مصر ضد إسرائيل ممكنة، لكن حرباً ضد إسرائيل من غير مصر هزيمة. غير أن من المحال أن يتم السلم في المنطقة من غير سورية. هذه المعادلة التي أسميها مرحلة الخوف عند النظام السوري الذي يريد الحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه ولا يدخل في مغامرة غير محسوبة ضد إسرائيل، تبدلت بعد تحرير الجنوب اللبناني في سنة 2000. لقد ذهب هذا الخوف وما عادت ثمة خشية من أن تدخل إسرائيل عبر لبنان وتهدد دمشق. الآن إسرائيل نفسها تحسب حساباً للجبهة اللبنانية أكثر بكثير من أي جبهة عربية أخرى.

في ذلك الحين كان الفلسطيني يريد أن يقول للأميركي: «إنك لم تستطع تصفيتي في لبنان وبالتالي فأنا رقم صعب، وأريد أن أكون ضِيفاً على مؤتمر جنيف». والسوري كان يريد من الفلسطيني تهدئة الوضع لأن من المحال الانتصار في لبنان؛ فالمسيحيون فتحوا خطوطاً مع إسرائيل، وربما تتطور الأمور إلى حد التورط في معركة غير محسوبة(*). في حين أن

* كشف جوزف أبو خليل في كتابه «قصة الموارنة في الحرب» (بيروت: شركة المطبوعات، 1990) تفصيلات العلاقة مع إسرائيل، وكيف أبحر في 11/ 3/ 1976 من نادي اليخوت في جونية إلى إسرائيل، وكيف استقبله ضابط مخابرات إسرائيلي يدعى «أبو

التخيلات العشوائية في ذلك الحين كانت تردد أن سورية تنفذ سياسة أميركية والفلسطينيون ينفذون سياسة السيطرة على لبنان(*).

داود»، ثم التقى في الليلة نفسها شمعون بيريز. وهكذا بدأت مرحلة جديدة في علاقة حزب الكتائب بإسرائيل. وكان المسؤول عن الاتصال بهذا الحزب آنذاك ميناحيم نافوت (مندي) من الموساد، وكانت الأسماء الحركية لبعض مسؤولي الكتائب لدى الموساد على النحو التالي: جوزف أبو خليل (ألبير)، زاهي البستاني (مارلون)، سليم الجاهل (ميشال سان أندريه)، أنطوان نجم (نبتون)، أسعد الشفتري (غي). وكان وليد فارس (وودي) ضابط ارتباط القوات اللبنانية بإسرائيل.

* جاء تسلسل الأحداث على النحو التالي: بيار الجميل رئيس حزب الكتائب اليميني يوجه نداء إلى القادة العرب في 14/ 4/ 1975، أي في اليوم الثاني لمجزرة عين الرمانة. وعلى الفور وجّه الرئيس السادات رسالة إلى بيار الجميل يؤكد فيها أنه سيستجيب لندائه في التدخل في الشأن اللبناني. هنري كيسنجر يصرح في 25/ 5/ 1975 أن الوضع في لبنان سينفجر ويتحول إلى حرب أهلية كالتي وقعت في الأردن سنة 1970. كيسنجر يصل إلى المنطقة في 21/ 8/ 1975 لإنجاز اتفاقية سيناء التي وقّعت في 1/ 9/ 1975، وعارضتها سورية ومنظمة التحرير، والسادات يوجّه إنذاراً إلى المقاومة الفلسطينية ويهددها بأنها ستواجه المشاكل في لبنان إذا لم تنسجم مع اتجاهه السياسي. وهكذا تشتعل الحرب. ثم في 31/ 5/ 1976 يدخل 2000 جندي سوري إلى عكار بسبب مذابح ارتكبها المقدم أحمد المعماري من جيش لبنان العربي في عندقت والقبيات. وفي 1/ 6/ 1976 يدخل 4000 جندي سوري و200 دبابة من طريق البقاع. وفي

• من الذي قاد المقاومة الفلسطينية إلى التورط التدريجي في الحرب اللبنانية؟

ـ التورط في المعارك ضد سورية انزلقت إليه الفصائل الفلسطينية بالتدريج. وربما بسبب توقعات الزعيم كمال جنبلاط. الفلسطينيون كانوا قادرين على التوقف عن القتال والاكتفاء بعدم القضاء عليهم، فهذا يعتبر انتصاراً لهم، من غير أن يكون هذا الانتصار كاسحاً. لكن عندما وجد كمال جنبلاط أنه سيطر على 80٪ من مساحة لبنان ظهر لديه اقتناع بأن الفرصة التاريخية حانت من أجل تغيير بنية النظام اللبناني. واعتقد أنه بالسيطرة على 80٪ من الأراضي اللبنانية يمكنه تحقيق الحلم التاريخي في إلغاء الطائفية وبناء مجتمع العدالة والديموقراطية في لبنان كما ورد في «البرنامج المرحلي» للحركة الوطنية اللبنانية.

• في هذا الجو المحتدم من القتال الأهلي والنضال الفلسطيني في جنوب لبنان (عندما أقول النضال الفلسطيني أقصد

هذه الأجواء ينعقد المجلس الوزاري العربي في 10/ 6/ 1976 ويقرر إرسال «قوات أمن عربية» إلى لبنان التي ستتحول في مؤتمر الرياض المنعقد في 16/ 10/ 1976 إلى «قوات الردع العربية». وفي 10/ 11/ 1976 تدخل قوات الردع العربية إلى بيروت. وهكذا تنتهي المرحلة الأولى من الحرب التي عَرفت بـ«حرب السنتين».

نضال المقاتلين في إطار الثورة الفلسطينية أكانوا من الفلسطينيين أو اللبنانيين أو السوريين) هناك تجربة كانت بارزة هي تجربة الكتيبة الطلابية في حركة فتح. كيف تتذكر هذه التجربة الآن؟

ـ هذه التجربة كانت فعلاً فريدة في نوعها. وقد برهنت أن التعبئة السياسية والوعي السياسي والثقافي مهمان جداً في بناء المقاتل. فهي أوجدت مقاتلين من نوع مختلف ضمن قوات الثورة الفلسطينية. وهؤلاء حققوا علامات إيجابية جداً، كالتعامل مع الجماهير وأهالي القرى المحيطة بهم. والدليل على ذلك أنه على الرغم مما حصل من تأزم في الوضع الجنوبي حيال الثورة الفلسطينية قبل الاجتياح الإسرائيلي سنة 1982، وما أشعلته الإشاعات والقصص التي ما برح الناس يتداولونها حتى الآن، فإن أهل الجنوب الذين عايشوا تلك المرحلة ما زالوا، عندما يتحدثون عن تلك المشكلات، يستثنون الكتيبة الطلابية أو كتيبة الجرمق كما سُميت لاحقاً(*).

---

* شاركت «الكتيبة الطلابية» في محاور القتال في الجنوب اللبناني وفي الجبل وبيروت إبان الحرب الأهلية. ومن أبرز عناصرها: عبد القادر جرادات (سعد) الذي استشهد على محور الناصرة في بيروت ومثّل الكتائبيون بجثته التي لم يظهر لها أثر، وعلي أبو طوق الذي

وهذا الاستثناء له مدلولات لا تأتي مصادفة. وهذا درس يجب أن يكون معروفاً تماماً، وهو أن المقاتل العقائدي ذا الثقافة العالية يؤدي نضالاً عسكرياً وسياسياً وأمنياً بمستوى أعلى من المقاتل الذي هو أقل ثقافة وأقل تعبوية وأقل معنوية. وفعلاً كانت الكتيبة الطلابية كتيبة نخبة بهذا المعنى، ولها معارك مشهودة في مارون الراس إبان اجتياح 15 آذار (مارس) 1978، فقد سقط للإسرائيليين 9 قتلى فيها. والمعركة الخالدة في قلعة الشقيف التي سقط فيها 3 ضباط إسرائيليين إلى جانب مجموعة من الجنود الآخرين. لم يكن هناك مكان قررت فيه الكتيبة الطلابية الصمود إلا أوقعت خسائر كبيرة في صفوف العدو الصهيوني.

وأذكر أن هذه التجربة بدأت باقتراح بسيط، عندما وقعت بعض الخلافات السياسية في التنظيم الطالبي وتشعبت الآراء، فقلت لقائد الميليشيا في لبنان جواد أبو الشعر: إن الحل الوحيد لتجاوز هذه الخلافات أن تضعنا جميعاً في معسكر تدريب لمدة 15 يوماً أو 10 أيام. وفي هذا المعسكر نناقش

اغتيل في مخيم شاتيلا في 27/ 1/ 1987، وجورج عسل (أبو خالد) شقيق منير شفيق الذي استشهد في عينطورة، ومعين الطاهر الذي أصيب في معركة الشقيف سنة 1982، وأمين العنداري (أبو وجيه) من بلدة العبادية، والشهيد طوني النمس.

جميع المسائل التي نختلف عليها ونمارس التدريب اليومي، كي يفهم من يتحدث عن حرب الشعب ما هي حرب الشعب وما هي مصاعبها. فأيّد جواد أبو الشعر هذه الفكرة وقرر أن يكون المعسكر في مدينة طرطوس في سورية. وعندما وصلنا إلى طرطوس ليلاً علم الأخ أبو عمار بذلك فأصدر أمراً سريعاً بنقلنا من المدينة، لأن طرطوس كانت معرضة للقصف بالطيران الإسرائيلي، وقال: إن هذا المعسكر يعد من الناحية الأمنية منتهياً، فجرى نقلنا إلى بلدة مصياف في سورية أيضاً. وفي مصياف أمضينا فترة انصهرت فيها عناصر القوات، وظهرت فيها فكرة تأليف نواة مسلحة ومتماسكة من التنظيم الطالبي.

● **في أي سنة كان ذلك؟**

ـ في سنة 1974.

● **أي بعد حرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973؟**

ـ نعم، بعد حرب تشرين. وعندما بدأت الحرب الأهلية في لبنان كانت النواة المسلحة للتنظيم الطالبي موجودة وفاعلة. وفوراً تمركزت على محور رأس النبع في بيروت وبدأت تجربتها العسكرية، وسميت «الكتيبة الطلابية». ثم بعد ذلك

انتقلت إلى عيون السيمان والجبل، وانفردت بموقف سياسي يقول إن معاركها يجب ألا تكون في رأس النبع أو الجبل، وإنهم ينتظرون، بأقصى سرعة، الانتقال إلى الجنوب. وفعلاً ما إن بدأ وقف إطلاق النار حتى كانت أول كتيبة تتوجه إلى الجنوب وتتمركز في قطاع حساس جداً يقع خارج نطاق اتفاق القاهرة وهو القطاع الأوسط، الممتد بين بنت جبيل وعيناتا وجويا. القوى الأساسية للثورة الفلسطينية كانت في العرقوب حينذاك. والكتيبة سميت بعد عدة أشهر بـ«كتيبة الجرمق» مع انتقال عناصرها إلى جبل الجرمق، وزاد عديدها 3 أضعاف عما كانت عليه، وانضم إليها طلاب جاؤوا من أوروبا بعد أن تركوا دراستهم والتحقوا بدورة ضباط ثم انضموا إلى الكتيبة. وكان فيها بالطبع ضباط لبنانيون وضباط فلسطينيون من لبنان ومن فلسطينيي الأردن. فكانت، في تكوينها، متعددة المشارب، لكن التفاهم السياسي فيها كان رائعاً.

- **ما كان دورك أنت في الكتيبة الطلابية؟**

ـ أنا لم أكن متفرغاً في الكتيبة. لكن بما أنني المسؤول التنظيمي عن الطلاب كنت أتابع تدريب مَن نرسلهم إلى الكتيبة، وأشرف على إعدادهم السياسي. كان التنظيم الطالبي نوعاً من قوات الاحتياط الرديفة، أي عندما يكون ثمة استنفار

يصبح بإمكاننا مضاعفة حجم الكتيبة، لأن عناصر الكتيبة لم يكونوا جميعاً من المتفرغين.

● **من تتذكر من رفاقك في الكتيبة الطلابية؟**

ـ كلهم أتذكرهم. الشهيد مروان كيالي مثلاً. وعندما أقول مروان كيالي أتذكر فوراً أنه كان من المحركين الأساسيين لفكرة الجهاد الإسلامي مع أن عمله الأساسي كان في القطاع الغربي لحركة فتح. مروان كان يمارس عملاً مسلحاً في الكتيبة الطلابية، واستشهد مع مروان الشهيد باسم التميمي (حمدي) وكان يعمل في القطاع الغربي للأرض المحتلة أيضاً. وكان يمارس العمل المسلح مع الكتيبة الطلابية أيضاً وعلى اتصال دائم بها. ومحمد بحيص (أبو حسن) أيضاً كان يرسل بعض الشباب الفلسطينيين الذين كانوا يعملون في القطاع الغربي ليتدربوا في الكتيبة الطلابية. كان هناك تنسيق جدي بين مَن يعمل في القطاع الغربي والكتيبة الطلابية. وكان فخراً لهذه الكتيبة أن يظهر فيها الشهيد مروان كيالي. ويجب ألا ننسى أن الذي أسس فكرة الجهاد الإسلامي في فلسطين هم هؤلاء الشهداء الثلاثة أبو حسن وحمدي ومروان كيالي الذين استشهدوا في قبرص في 14/ 2/ 1988 بينما كانوا يتابعون شؤون الانتفاضة الأولى.

- **في ذلك الوقت ما كان تأثير منير شفيق مثلاً أو السيد هاني فحص اللذين كانا على احتكاك بالكتيبة الطلابية؟ هل أينعت أفكارهما الإسلامية في تلك الفترة؟**

ـ منير شفيق لم يكن عنده أفكار إسلامية في تلك الفترة، بل كان ماوياً. لكن كان له تأثير إيجابي جداً في مسألة التناقضات وتحديد التناقض الرئيسي. واستطاع، من خلال تجربته السياسية والحزبية، أن يعرف كيف يدير صراعاته الداخلية اعتماداً على الفكرة القائلة إن التناقض الرئيسي هو مع العدو الصهيوني وحده، وإن على الجميع ألا يدخل في مهاترات جانبية، ونجحت الكتيبة الطلابية في هذا الموضوع. والكتيبة الطلابية كانت تتحدث دائماً عن العدو الصهيوني وقتاله فقط، بينما كان الآخرون لا يشبعون كلاماً عن جنيف وعن التسويات وعن المشكلات الحزبية والتنظيمية. أما السيد هاني فحص فلم تكن له علاقة مباشرة بالكتيبة الطلابية. لكنه، بحكم موقعه في الجنوب واحتكاكه بالتنظيم اللبناني لحركة فتح وبالكتيبة نفسها التي كانت ترابط في مواقع له نفوذ سياسي فيها؛ فهو من جبشيت وكانت لنا قوات في جبشيت وفي حاروف وفي دير قانون النهر بعد 1978، فقد كان هناك عمل سياسي مشترك مع السيد هاني فحص(*).

---

* ولد السيد هاني فحص في جبشيت سنة 1946، ونال الثانوية العامة

• **لكن ألم يكن لتحول منير شفيق إلى الإسلام، أثر ما؟**

ـ التحول الإسلامي عند منير شفيق جرى بعد الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979. لم يكن لديه تحول إسلامي قبل ذلك. الشهيدان أبو حسن وحمدي كانا من المتدينين قبل الثورة الإسلامية الإيرانية. ولكن الثورة الإسلامية أثرت في القوى المتدينة في الثورة الفلسطينية، فاستطاعت أن تلتقط أنفاسها وتعبر عن نفسها أكثر. في البداية كان الجميع يتحدث عن المعسكر الاشتراكي ومن كان متديناً يُتهم بالرجعية. لكن بعد الثورة الإسلامية تغيرت الحال وظهر اتجاه يدعو إلى بناء الجهاد الإسلامي في فلسطين. وقد أيد الشهيد خليل الوزير (أبو جهاد) هذه الفكرة بقوّة، وشدد على فكرة التنظيم الجهادي الإسلامي وعلى دعمه مادياً ومعنوياً. والكتيبة الطلابية أدركت، بدورها، أن البعد الإسلامي في جنوب لبنان سيكون مهماً جداً. ونحن كان لنا شأن في تحريك هذه المسألة، وبدأنا بنقل

السورية كطالب حر، ثم سافر إلى النجف في سنة 1963، ودرس في حوزتها. عاد إلى لبنان سنة 1972 وأسس «منتدى أدباء جبل عامل»، وراح ينشط في جنوب لبنان من موقع الحليف المستقل لحركة فتح، وكان في عداد الوفد المرافق لياسر عرفات حينما زار طهران فور انتصار الثورة الإيرانية في شباط 1979. وهو أديب ومناضل وكاتب وفقيه وذو رأي سياسي مستقل.

صورة الثورة الإسلامية الإيرانية إلى جنوب لبنان. وكنا من القريبين جداً إلى هذه الثورة، ولنا فيها دور. وصرنا نبحث كيف نستفيد من هذه الروح الثورية في إيران لتفعيل الروح الإسلامية في جنوب لبنان. وفي هذا السياق أصبح ثمة شكل من أشكال العودة إلى التدين في الكتيبة الطلابية، وبدأت عناصر الكتيبة وضباطها يترددون على المساجد والحسينيات. وهذا الأمر أوجد لحمة جيدة جداً مع أهالي الجنوب. وأذكر أن أول ملصق وزعناه في الجنوب، وكنت طبعته يومها بنفسي، كان شعاره: «قادمون إلى كل الجبهات». وكان ذلك بناء على رغبة المتطوعين الإيرانيين الذين أرادوا القتال في جنوب لبنان. وكان يقود الحملة حينذاك الشهيد محمد منتظري(*). كان لدينا بعض المتطوعين الإيرانيين بأعداد كبيرة، وكانوا يتدربون عندنا من أجل انتصار الثورة الإيرانية. لكن بعد انتصار الثورة ما عاد هناك مانع من أن يأتوا إلينا للقتال في سبيل فلسطين. لكن ذلك

---

* محمد منتظري هو ابن حسين علي منتظري الذي تولى إمامة صلاة الجمعة في طهران، والذي عُين خليفة للإمام الخميني في سنة 1985، لكنه لم يلبث أن قدم استقالته في سنة 1989 بعد انتقادات متتالية لطريقة إدارة الحكم في عهد الإمام الخميني، فوضع في الإقامة الجبرية في قم سنة 1992. وابنه محمد كان من أبرز مؤيدي الثورة الفلسطينية، لكنه قُتل في الانفجار الذي وقع في مقر حزب الجمهورية الإسلامية في طهران في 28/ 6/ 1981.

كانت له محاذير عدة، ولا سيما لبعض الأنظمة العربية وحتى لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تعتبر أن المرحلة هي مرحلة المفاوضات، وما انفكت تأمل، بعد فشل تصفيتها في لبنان، أن تدعى في المرحلة اللاحقة إلى ما يسمى المؤتمر الدولي. وبالتالي كانت ترى أن ليس المطلوب فتح جبهات في لبنان وجلب متطوعين. بينما في سنة 1982 وجدت القيادة نفسها أنها ستصطدم بإسرائيل وأن إسرائيل ستجتاح جنوب لبنان فصارت تبحث عن المقاتل في أي غيمة وفي أي بلد. وأعتقد أن من يتحرك في اللحظة الأخيرة يفوته القطار لأن المعركة العسكرية ليست معركة عضلات، بل هي تخطيط وتنظيم ومعرفة أساساً، ولأن المناورة في الأرض والتحرك والتكتيكات واختبار دهاء العدو وذكاء المقاتل، ذلك كله له شأن كبير بالتأكيد.

- **هنا يحضرني السؤال التالي: في الجنوب كانت هناك تحركات من بعض الاتجاهات السياسية ضد المقاومة الفلسطينية. وفي مرات كثيرة جرت اشتباكات متبادلة. بمعنى أن الشائعات كانت تضخم كثيراً التجاوزات الفلسطينية ضد أهل الجنوب. بينما بيروت التي تحمّلت العبء الأكبر من الحرب الأهلية وتركز القصف والتدمير وتفخيخ السيارات في شوارعها وأحيائها، ونشأت فيها**

خطوط التماس، ودمر قلب البلد بكامله، وعلى الرغم من ذلك لم يتحرك أهالي بيروت ضد المقاومة الفلسطينية، ما عدا صائب سلام الذي قاد تحركاً بسيطاً ضد المجالس المحلية. لماذا كان هذا الفارق؟

ـ كان هناك عمل استخباري نشيط في الجنوب. ثم إن أهالي بيروت ليسوا البيارتة فقط، بل هم متعددو الأصول، ولم يكن من الممكن تحريكهم كأهالي الجنوب بهذا الشكل على الرغم من قصة صائب سلام(*) مع مجالس الحركة الوطنية. أما في الجنوب فكان هناك مخطط، وكان البعض يعتقد أن المقاتل الفلسطيني إذا فشل في الجنوب فليس له مكان من الإعراب. لذلك كان يجب ضرب اللحمة بين الفلسطيني وابن الجنوب.

---

* ولد صائب سلام في بيروت سنة 1905، وهو ابن سليم علي سلام (أبو علي) الذي عقد مؤتمر الساحل في منزله في سنة 1937 والذي رفض المجتمعون فيه الانضمام إلى لبنان، وطالبوا بالانضمام إلى سورية. انتخب نائباً عن بيروت، أول مرة، في سنة 1943، وعين وزيراً للداخلية في سنة 1946، وأصبح رئيساً للحكومة، أول مرة أيضاً، في سنة 1952. قاد المقاومة الشعبية في بيروت ضد حكم كميل شمعون سنة 1958، لكنه تحول في ما بعد إلى الحليف الأول للمملكة العربية السعودية في لبنان. وقد أيّد اتفاق 17 أيار 1983 بين لبنان وإسرائيل، وطالب بالتمثيل الدبلوماسي بين سورية ولبنان في 7/ 10/ 1982. توفي في 20/ 1/ 2000.

إسرائيل تحركت بشكل منظم ومستمر في هذه المسألة، واستطاعت، للأسف، أن تخترق منظمات محسوبة على الصف الإسلامي والوطني، وراحت هذه المنظمات تثير هذه النعرات.

كذلك لم تقصر الشعبة الثانية ولم تكف يدها يوماً من الأيام عن هذا التحريض. فضلاً عن غياب الوعي السياسي لدى بعض الفصائل الفلسطينية التي لم تراع المسألة المذهبية في الجنوب اللبناني، ولم تكن تراعي التدين والحساسية اللبنانية ـ الفلسطينية، فكانت تمارس مهماتها كأن لا أحد أمامها. وهذه الأمور كلها أدت إلى مصادمات كثيرة.

ولا أنفي احتمال أن يكون هناك اختراق لبعض المنظمات بعناصر مدسوسة مهمتها الوحيدة لا أن تتجسس بالمعنى المعلوماتي للجاسوسية، بل أن تكون نوعاً من المحرِّض لافتعال اشتباكات متنقلة هنا وهناك. وأثبتت المراحل اللاحقة في أثناء الحرب مع إسرائيل، وحجم السيارات الملغمة والمعلومات المتسربة، أن عملية الاختراق في الساحة الفلسطينية كانت كبيرة جداً.

وهذا ما اعترف به بعض المسؤولين الأمنيين الإسرائيليين الذين أكدوا أنهم مارسوا ما يسمى بـ«الإغراق الأمني»، أي

إرسال جواسيس بأعداد كبيرة بحيث أن الأمن المضاد صار لا يصدّق أن من المعقول أن يكون الاختراق بهذا الحجم، ثم بالتدريج، يصبح لديه نوع من الارتخاء الأمني(*).

* * *

---

* أشهر الجواسيس في هذا المجال هي الأردنية أمينة المفتي المولودة في سنة 1939 لأسرة شركسية. درست علم النفس العيادي في جامعة فيينا في سنة 1957، وتعرّفت هناك إلى ضابط إسرائيلي طيار يدعى «موشي بيراد» وعشقته ثم تزوجته بحسب الطقوس اليهودية، وصار اسمها «آني موشي بيراد». وفي سنة 1972 سافرت مع زوجها إلى إسرائيل وسكنت في ريشون لتسيون، وهي أول مستعمرة صهيونية في فلسطين. وفي حرب تشرين الأول 1973 قُتل زوجها بعد إسقاط طائرته. ولاحقاً قام الموساد بتدريبها وإرسالها إلى بيروت لتقصي أثر علي سلامة (أبو حسن)، وتمكنت أن تتغلغل في صفوف المقاومة الفلسطينية وأن تلتقي أبو حسن سلامة مرات عدة. لكن الأمن الفلسطيني اعتقلها في سنة 1975 وأطلق سراحها في عملية تبادل سنة 1980 خرج بموجبها عدد من الأسرى الفلسطينيين بينهم أبو علي مهدي بسيسو ووليم نصار.

المقاومة واليسار
وموسى الصدر
وحرب الفنادق

• هناك من تحدث عن أن السيد موسى الصدر عندما أعلن حركته بدعم من فتح في البدايات، كان مشروعه أن يقطع الطريق على تيار الحركة الوطنية الذي كان صاعداً جداً في تلك الفترة. فكانت تظاهرات العمال وتظاهرات عمال التبغ وحركات الطلاب والمشروع السياسي للحركة الوطنية اللبنانية. وجاءت حركة موسى الصدر لكي تقطع الطريق على هذا المشروع. ثم إن دعوته المبكرة إلى التسلح في عامي 1971 و1972 وخلال المهرجانين المشهورين في بعلبك وفي صور والدعوة إلى اقتناء السلاح، ذلك كله كان مقدمة لانفجار الصراع المسلح(*). إلى أي مدى ترى أن هذا الكلام صحيح؟ وكيف تنقد هذه الآراء؟

ـ أنا لا أعتقد أن مشروع الإمام موسى الصدر كانت له تلك الوجهة. الإمام موسى الصدر هو سيد معمّم جاء من إيران

* ثلاثة مهرجانات أساسية رفع فيها الإمام موسى الصدر شعاره «السلاح زينة الرجال» هي: مهرجان بعلبك في 17/ 3/ 1974، ومهرجان صور في 5/ 5/ 1974، ومهرجان شبريحا في 3/ 10/ 1974.

واكتشف حال الوضع الإسلامي الشيعي في لبنان، ووجد أن هذا المجتمع مستقطب من الأحزاب كافة، ولكن ليس له وجود مستقل. في حين أن المذاهب والطوائف الأخرى لها كيانات قائمة بنفسها. ثم إنه كان يدعو إلى الإيمان، أي إنه صاحب مشروع مذهبي سياسي. فهو عالِم دين في الأساس، وقام بهذه الدعوة من أجل إحياء الروح الإسلامية، وأطلق حركته باسم «حركة المحرومين» لأن الطائفة الشيعية كانت محرومة وتستحق وضعاً أفضل. أما موقفه من فلسطين فكان واضحاً جداً، وكان يردد أن على كل مسلم واجب القتال من أجل فلسطين. وأول من رتب لقاء «فتح» مع السيد موسى الصدر، هو الحاج طلال (سمير أبو غزالة) الذي كان مسؤولاً عن إقليم لبنان في حركة فتح.

- **في أي سنة كان ذلك؟**

- في بداية السبعينات، وما عدت أذكر في أي سنة بالتحديد. ربما في سنة 1971. وقد انتظرت الحاج طلال على أحر من الجمر كي أطلع منه على نتائج هذا اللقاء. وأخبرني الحاج طلال أن الإمام الصدر قال له بكل وضوح: نحن معكم لتحرير فلسطين بلا شروط، ونحن نعتقد أن المؤمنين هم الذين يجب أن يحرروا فلسطين، ونحن علينا دعوة الجميع إلى

الإيمان والجهاد معاً. واقترح فوراً تشكيل «كتائب الإمام علي لتحرير فلسطين» لتعمل تحت إشرافه. وهذا الاقتراح ظهر قبل تأليف حركة أمل بالطبع. أي إنه كان يريد جناحاً عسكرياً باسم «كتائب الإمام علي لتحرير فلسطين». وخرج الحاج طلال مندهشاً لأنه وجد في لبنان رجلاً كنزاً لا يحلم به. ولكن في الثورة الفلسطينية لا يرى الجميع الأمور بالعين نفسها، والبعض يتحسس من أي مسألة إسلامية بسبب خلفيته الماركسية، والبعض يتفهم ويريد أن يراعي الحركات اليسارية اللبنانية. وفي النهاية اتفق على أن يكون هناك حركة باسم «أفواج المقاومة اللبنانية» (أمل)، والذي أطلق عليها هذا الاسم هو الأخ ياسر عرفات نفسه. وجرى التخلي عن اسم «كتائب الإمام علي»، وافتتح أول معسكر لتدريب حركة أمل بمساهمة من حركة فتح، وكان المدربون ضباطاً من حركة فتح(*).

يومذاك رَصَدْتُ هذا الحدث وكتبت تحليلاً يحذر من أن حركة أمل ربما تتسرب من أيدينا بسبب تسابق الشعبة الثانية والأجهزة السورية على اختراق الحركة. وكنا نبّهنا إلى ضرورة

---

* إعلان ولادة حركة أمل (أفواج المقاومة اللبنانية) جرى في 6/ 7/ 1975، بعد انفجار لغم في أحد معسكرات التدريب في البقاع. وكان المدرب فلسطيني يدعى مجاهد الضامن. وقد استشهد جراء هذا الانفجار عدد من أعضاء حركة أمل.

أن يكون العمل على مستوى سياسي عالٍ جداً، كي لا يذهب هذا الحلف من أيدينا، ولا يكفي التنسيق بين القادة وحدهم. أي إنه مهما كانت محبّة موسى الصدر لأبو عمار، ومهما يكن تنسيقهما جيداً، فهناك أمور تحصل على المستوى المتوسط والأدنى، ويجب دائماً التحرك بأقصى سرعة للحد من آثار ذلك. للأسف فعلى المدى البعيد ظهر محور آخر هو محور إسرائيلي يعمل في جنوب لبنان من أجل تأليب المسلمين في بعض القرى ضد الثورة الفلسطينية، واستطاع أن ينجح في بعض هذه الأمور. وكان لكل طرف حجم معين داخل الحركة، وانعكس ذلك سياسياً عليها.

● **حسناً، أين هو الإمام موسى الصدر الآن؟**

- ليس لدي معلومات خاصة، إلا المعلومات التي يعرفها الناس جميعهم. للأسف تم تغييبه، وأعتقد أن البعض تورط من دون معرفة أبعاد هذه العملية(*).

---

* ما تزال قضية اختفاء الإمام موسى الصدر عرضة للمعلومات المتضاربة، الأمر الذي يزيد في غموضها أحياناً وفي وضوحها أحياناً أخرى. ومن بين المفارقات الغريبة أن القضاء الإيطالي أبلغ إلى نظيره اللبناني في آذار 2006 أن الإمام الصدر اختفى في الأراضي الإيطالية وليس في الأراضي الليبية (انظر: كمال قبيسي، الشرق الأوسط، 6/ 4/ 2006).

- **بعض الأبواق حاولت اتهام الثورة الفلسطينية بإخفائه أو بالضلوع في إخفائه.**

ـ لا أعتقد أن الفلسطينيين كان لهم دور في هذا الشأن. ولكن أؤكد أنه كانت هناك أطروحات طفولية يسارية حاولت أن تنتهي من هذا الإزعاج الذي يشكله موسى الصدر فاتهمت السيد موسى الصدر بعدّة اتهامات، وهو بعيد عنها تماماً.

- **إذاً لماذا خُطف؟**

ـ خطف تبريراً لهذه التحليلات ولإنهاء دوره. ولكن ما حصل في جنوب لبنان أدى إلى ظهور ما كان يتمناه الإمام موسى الصدر: مقاومة إسلامية شريفة تقاتل تحت راية الإسلام من أجل فلسطين وتحرير لبنان.

- **لكن المنظمة التي أنشأها السيد موسى الصدر لا تمثل عصارة فكره، فقد دخلت أيضاً في صراعات مذمومة جداً.**

ـ يجب أن نكون واقعيين. فشخصية السيد موسى الصدر لم تنعكس على الجسم الفضفاض للحركة التي أسسها. وأنا لا زلت أذكر الحوار الذي دار بينه وبين الشهيد محمد صالح الحسيني في هذا الأمر(*). وأخبرني الشهيد محمد صالح عندما

---

* ولد محمد صالح الحسيني في النجف سنة 1942، وكان ناشطاً في

سألته: ما رأيك بالسيد موسى الصدر؟ فقال: «إن السيد موسى يحبني جداً وأنا أحترمه بالطبع. ولكن شرطي للتعامل معه أن تكون الحركة التي أسسها حركة إيمانية وليست حركة تجميع للشيعة فقط. وأنا عندما أنظر إلى هذا المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ومن فيه أقول له ليس هذا هو المطلوب». لكن السيد موسى الصدر كانت نظرته أوسع. فهو يريد أن يحرّك الأطراف كافة ويبني المجتمع المؤمن في داخله، ولذلك حصلت الانشقاقات في حركة أمل وظهرت حركة أمل الإسلامية وحزب الله وأمل المؤمنة وغير ذلك.

- **أحد الذين أسهموا في بناء حركة أمل كان مصطفى شمران.**

- مصطفى شمران لم يكن مؤسساً بل جاء إلى لبنان واحتضنه السيد موسى الصدر. وكان كادراً قادراً على

الحركة الإسلامية في العراق، واعتقل مرتين: في سنة 1964 وفي سنة 1965. انضم إلى حركة فتح سنة 1976، وأصيب في معارك حي الشياح في السنة نفسها، وكلف الاتصال بالحركة الإسلامية في إيران، وأصبح صلة الوصل بين فتح والإمام الخميني. اغتيل في بيروت سنة 1981. تزوج سيدة من آل غملوش من جباع، وابنته متزوجة الإعلامي التونسي غسان بن جدو، وشقيقه محمد صادق الحسيني، الفتحاوي السابق، هو من الإعلاميين البارزين في إيران.

التنظيم والتحريك، وكان موقعه في صور(*).

● **ألم يكن له دور عسكري في حركة أمل؟**

- كلا لم يكن عسكرياً. هو دكتور تسلم مؤسسة جبل عامل المهنية في صور، واشتغل في التعليم والتنظيم والأعمال التعبوية. أما المسألة العسكرية فجاءت خلال الحرب الأهلية في لبنان.

لم يكن لديه أي خلفية عسكرية حتى إنه لم يتدرب في أي مكان. لكنه أصبح المسؤول التنظيمي المركزي لحركة المحرومين.

● **ألم يكن على علاقة بحركة فتح؟**

- لا . . . بتاتاً.

---

* ولد في إيران سنة 1926، ودرس الهندسة في جامعة طهران ثم في جامعة تكساس، ونال الدكتوراه في الفيزياء من جامعة كاليفورنيا. أسس في الولايات المتحدة الأميركية «جمعية الطلبة المسلمين» التي امتد نشاطها إلى أوروبا، وتعرف في تلك الأثناء إلى إبراهيم يزدي وصادق قطب زاده. جاء إلى الإمام موسى الصدر في سنة 1970 في لبنان وتزوج غادة جابر، ثم عاد إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية في سنة 1979، وأسس ميليشيا كانت نواة لحرس الثورة الإسلامية. وفي ما بعد عُيِّن وزيراً للدفاع، وأدار بعض العمليات غير النظامية في مدينة الأحواز، وأُصيب في ساقه في مدينة «سوسنكرد»، وقُتل في إحدى معارك منطقة الأحواز.

- **فقط مع السيد موسى الصدر؟**

ـ فقط مع السيد موسى الصدر. وكان يجري حوارات مع حركة فتح، لكنهٰ لم ينتمِ إلى فتح.

- **أنت ماذ فعِلت في أثناء الحرب، أي منذ سنة 1975 فصاعداً؟**

ـ أنا من القلائل الذين توقعوا الحرب بالسيناريو الحقيقي لها. كانت لدينا معلومات عما يحصل في الجيش اللبناني وعما يجري في الأحزاب اليمينية اللبنانية نتيجة لانتشار التنظيم الطالبي في مختلف المناطق اللبنانية وفي الطوائف اللبنانية كلها. لذلك لم تفاجئنا هذه الحرب. لكن كان لدينا رأي يقول بأن يكون الرد سريعاً وقاسياً وعلى رؤوس الحلف الثنائي(*) الذي كان يتألف في ذلك الوقت من الكتائب والأحرار، وتجنب الجبهات العريضة، لكي لا نقع في فخ الطائفية. ولكن، للأسف، انزلقت القوى السياسية بسهولة

* أما الحلف الثلاثي فهو حلف طائفي ماروني ظهر في سنة 1968 ضد الرئيس فؤاد شهاب وضد إمكان عودته إلى الرئاسة. وقد ساعدت هزيمة حزيران 1967 في نهوض هذا الحلف الذي كان أركانه بيار الجميل رئيس حزب الكتائب، وكميل شمعون رئيس حزب الوطنيين الأحرار، وريمون إده عميد حزب الكتلة الوطنية. وكان

نحو حرب الجبهات، وكانت الكارثة الأولى الكبرى في أول يوم تقصف فيه الأشرفية قصفاً عشوائياً. في حين أن المطلوب كان القيام بعمليات خاصة رادعة على مراكز الكتائب. كان لدينا برنامج في التنظيم الطالبي ينص على أن يُستهدف المسؤولون وبعض المقرات وننهي المسألة بسرعة ونكشف المؤامرة من غير التورط بحرب. وصودف أنني كنت أحد المصابين منذ اليوم الأول في الحرب؛ فقد وقع حادث انفجار، أدى إلى سحبي من المعركة وإرسالي للعلاج، وقد أمضيت أسبوعين في لبنان للعلاج، ثم بسبب امتلاء المستشفيات وعدم توافر العلاج السليم أُرسلت إلى مصر، وأُجريت لي عمليتان جراحيتان في رجلي(*). وهذه الحادثة أتاحت لي النظر من بعيد إلى الوضع

كل واحد من هؤلاء الثلاثة يطمح إلى رئاسة الجمهورية. لكن، مع اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في 13/ 4/ 1975 انخرط فيها حزبا الكتائب والأحرار، بينما رفض ريمون إدة هذه الحرب، وطالما اتهم بيار الجميل وكميل شمعون بإشعالها، وتعرض، جراء مواقفه هذه، لمحاولات اغتيال متكررة أصيب في إحداها، واضطر أخيراً إلى مغادرة لبنان إلى باريس حيث عاش فيها حتى وفاته في سنة 2000.

(*) منذ اليوم الأول لاندلاع الحرب الأهلية في 13/ 4/ 1975 بادر أنيس النقاش إلى تصنيع عبوة ناسفة لتفجيرها في «بيت الكتائب» في عين الرمانة. لكن العبوة انفجرت به، الأمر الذي أدى إلى إصابته ونقله إلى مصر، وخضوعه للعلاج ثلاثة أشهر متواصلة.

اللبناني، وأدركت أن المسألة باتت خارج السيطرة تماماً. حتى إني فكرت في الذهاب إلى الخليج العربي والعمل هناك. وبالفعل، سافرت إلى الإمارات العربية المتحدة وعملت في القسم الفني التابع لوزارة التربية، غير أنني لم أتمكن من احتمال الوضع طويلاً. وعندما وقع السبت الأسود في 6/ 12/ 1976 والقصف الدامي على بيروت ومعركة الفنادق وأصبحت بيروت الغربية مهدّدة جداً، تركت العمل في دبي وعدت سريعاً إلى بيروت. وكانت معركة الفنادق محتدمة جداً، فشاركت لمدة لم تتجاوز 4 أو 5 أيام في معارك منطقة الفنادق التي انتهت بسقوط المنطقة كلها، باستثناء فندق الهوليداي إن الذي سقط بعد ذلك، وتسلمت المحاور هناك. وكانت النتيجة جيدة وسريعة وسقط من عندنا شهيد من التنظيم الطالبي وستة شهداء من كتيبة فلسطينية أخرى.

- **في معركة الفنادق من كانت القوى الرئيسية في تحرير المنطقة من الكتائب؟ نعرف أن الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة قامت بدور مهم؟**

ـ نعم. لنعطِ لكل واحد دوره. والمعركة تمت على مراحل. نحن كنا في محور عين المريسة حتى السان جورج، ومن باب إدريس حتى الستاركو والهيلتون. هذه المنطقة نحن

حررناها، وأمكن بذلك عزل فندق الهوليداي إن. ثم بعد ذلك جاء دور الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة التي فتحت ثغرة بعد ثغرة بالمتفجرات، وقامت بهجوم مركز على الفندق واحتلته، ودخلت معها قوة من تنظيم «المرابطون» بعد أن انتهت المعركة تقريباً. لكنهم لم ينتبهوا إلى وجود مقاتلين كتائبيين في الطبقات السفلى حيث كانوا مختبئين. وبينما المقاتلون في حال استرخاء، خرج الكتائبيون وأطلقوا النار، وكانت مجزرة كبيرة للأسف. لكن ذلك لم يؤد إلى تغيير الواقع، فالكتائبيون كانوا يريدون الهرب وتمكنوا من الانسحاب. وهذه هي حقيقة ما حصل. الهوليداي إن عُزل بواسطة قواتنا ثم اقتحمت قوات الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة(*) الموقع، ثم جاءت بعد ذلك قوات «المرابطون».

---

* مؤسس الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، هو الضابط الفلسطيني السابق في الجيش السوري أحمد جبريل، المولود في قرية يازور سنة 1937. وكان اسمها في البداية «جبهة التحرير الفلسطينية»، وشارك في تأسيسها سنة 1963 كل من علي بشناق، وفضل شرورو، ويوسف طُبّل، وطلال ناجي، وعبد اللطيف شرورو، وعمر الشهابي، وحمد الموعد. وانضمت هذه المجموعة إلى منظمة «شباب الثأر» ومنظمة «أبطال العودة» ليشكلوا معاً «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» في سنة 1967. لكن الخلاف لم يلبث أن دب داخل الجبهة الشعبية، وكان أحمد جبريل يتولى القيادة العامة العسكرية، ونتيجة لتفاقم هذه الخلافات انشقت مجموعة أحمد

● **أي أن «المرابطون» جاؤوا بعد الانتهاء من القتال؟**

ـ بعد فتح الثغرة. والذي استطاع أن يفتح الثغرة بالتفجير، ثم يخترق الجدران إلى داخل الهوليداي إن، هم مقاتلو الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة.

● **هل كان ياسر عرفات في تلك الفترة راغباً حقاً في الانخراط في الحرب؟**

لا أبداً. نحن نشهد أنه كان دائماً يسعى إلى وقف القتال. وكم كان يشدد على أبو حسن سلامة(*) بعدم توفير أي فرصة لوقف المعارك. كان دائماً يطلب منه تحقيق التفاهم مع الطرف الآخر. لكن قوى كثيرة من الطرفين كانت لا ترغب في وقف المعارك. الطرف الانعزالي هو من كان المسؤول عن

جبريل سنة 1968 واحتفظت باسم الجبهة الشعبية بعد إضافة عبارة «القيادة العامة».

* ولد في قرية «قولة» القريبة من اللد في سنة 1940. والده القائد المعروف حسن سلامة. انضم إلى حركة فتح سنة 1963، وتولى مسؤولية «القوة 17» المكلفة أمن ياسر عرفات. تزوج ملكة جمال الكون جورجينا رزق، وكان مكلفاً الاتصال بالأميركيين وبقادة اليمين اللبناني إبان الحرب الأهلية. اغتيل في بيروت في 22/ 1/ 1979.

التطهير المذهبي في مناطق سيطرته، وليست الحركة الوطنية التي بقي في مناطقها مسلمون ومسيحيون. الطرف اليميني المسيحي كان يلعب ألعاباً خطرة جداً كادت تؤدي إلى التقسيم لو أن الطرف الآخر انساق إلى اللعبة نفسها. الحرب في البداية لم تكن طائفية، كانت حرب الأحزاب اليمينية ضد الحركة الوطنية اللبنانية وضد المقاومة الفلسطينية. لكن الصراع الطائفي تمت تغذيته لاحقاً وخلال التدرج في الحرب.

- **تحدثت قبل قليل عن القصف العشوائي على الأشرفية، وكان ذلك نوعاً من النقلة في الحرب. مَن قرر القصف في تلك الفترة؟**

ـ في هذا الجواب سأزعج أناساً كثيرين. لكن للتاريخ أقول إنني كنت، في تلك الأثناء، في مصر. وكان أبو عمار في مصر أيضاً. وكان أبو جهاد في سورية ولم يكن في قيادة قوات العاصفة في لبنان إلا أبو صالح (نمر صالح)(*). واجتمع

---

* ولد سنة 1928، وعمل سائقاً لجرافة في الكويت. انضم إلى حركة فتح سنة 1967، وأصبح عضواً في اللجنة المركزية للحركة سنة 1971. انشق عن فتح في 9/ 5/ 1983، فأصدرت الحركة قراراً بطرده منها في 5/ 11/ 1983، ولم يلبث أن اختلف مع المجموعة المنشقة بقيادة أبو موسى وأبو خالد العملة، ولزم منزله في دمشق إلى أن توفي في 15/ 10/ 1991.

البعض إلى أبو صالح، الذي أقول، للأسف، إنه لم يكن لديه أي بُعد سياسي، وأقنعوه بفتح النار العشوائي على المناطق الشرقية، وكان لسان حالهم يردد: ما دام أبو عمار يحاول دائماً إيجاد تسوية مع الطرف اليميني، وما دام أبو جهاد عينه دائماً في فلسطين ولا يرغب في أي صراعات جانبية، فدعنا، في هذه الليلة، نربيهم ونضرب مواقعهم. وبناء على ذلك صرف أبو صالح بضع مئات من قذائف الهاون على أن تطلق على الأشرفية لكي يروا قوة المدفعية لعلها تخيفهم ويرتدعون. وهذا كان نوعاً من التورط الغبي، لأن من يفهم السياسة يعرف أن القصف العشوائي لا يؤدي إلاَّ إلى تكتيل الناس وزيادة لحمتهم. وما حصل على الأرض، بالفعل، أن الناس الذين لم تكن لهم أي صلة بالحرب صاروا يذهبون إلى الكتائب للحصول على سلاح لحماية أنفسهم. والذي لم يمتلك الجرأة كان يترك لبنان. يومذاك تضايق أبو عمار كثيراً عندما عرف ما حصل. وفي لقاء مع أبو جهاد سألته: ما الذي حصل كي تقصف الأشرفية؟ قال: نعم يا أخ مازن، للأسف كنا قاصرين، وبعضنا تورط في هذا الأمر. ولم يشر إلى أبو صالح، فقد كان يتعفف عن الإشارة إلى إخوانه. ولكن كان معروفاً تماماً من الذي قصف الأشرفية. غير أن التحريض بالقصف على الأشرفية جاء من قوى لبنانية وليس من القوى الفلسطينية.

• **من قوى لبنانية؟**

ـ نعم، من قوى لبنانية. وهذا يجب تسجيله للتاريخ. قوى لبنانية هي التي كانت تجتمع مع أبو صالح وكانت تعتبره يسار حركة فتح وأنه من أهل اليسار اللبناني. وهي التي شجعته على القيام بذلك العمل الخاطىء.

• **ما دور محسن إبراهيم وجورج حاوي في تلك الفترة؟(*)**

ـ كان لهما دور أساسي في تلك الفترة في عملية الحرب. كان هناك ثلاثة أشخاص في الحركة الوطنية يقومون

---

* محسن إبراهيم هو الأمين العام لمنظمة العمل الشيوعي، والأمين العام التنفيذي للحركة الوطنية اللبنانية، وأحد قادة حركة القوميين العرب سابقاً، ومستودع أسرار الحرب الأهلية اللبنانية. ولد في بلدة أنصار في جنوب لبنان سنة 1935، وحاز الإجازة في الحقوق من الجامعة اللبنانية. انضم إلى حركة القوميين العرب، وتبنى الخط الماركسي في الحركة. أسس سنة 1969 منظمة الاشتراكيين اللبنانيين بعد حل حركة القوميين العرب، واتحدت هذه المنظمة في سنة 1971 مع منظمة لبنان الاشتراكي وهي امتداد لليساريين البعثيين وشكلا معاً منظمة العمل الشيوعي التي كان لها شأن كبير في الحركة الوطنية اللبنانية. أما جورج حاوي المولود في بتغرين ـ المتن في سنة 1938 فقد انتمى إلى الحزب الشيوعي اللبناني سنة 1955، وانتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب في سنة 1968 في المؤتمر الثاني. كان أحد أبرز اثنين في الحركة الوطنية اللبنانية إلى جانب محسن إبراهيم بعد كمال جنبلاط. اعتقل في تظاهرات

معاً بالدور كله: كمال جنبلاط، وكان له في قلب أبو عمار احترام كبير جداً جداً، وقلما اختلف معه حتى لو لم يوافقه الرأي أحياناً. لكن مع محسن إبراهيم وجورج حاوي كان هناك سجال، أخذ ورد، لكن تأثيرهما كان مهماً جداً في مسيرة الأوضاع، وكانا على تنسيق يومي، وجلساتهما تستمر حتى الثانية صباحاً أو الثالثة فجراً. ولم يكن لهذه الحرب قيادة فلسطينية منفصلة أو قيادة لبنانية مستقلة، وإنما القرارات كانت تتخذ بشكل مشترك.

- **القوى الأخرى كانت كثيرة ومتشرذمة. المرابطون مثلاً في بيروت. عصام العرب وحسن قبيسي ولا أدري مَن غيرهما. وكانت هذه المجموعات تشتبك بالسلاح أحياناً. لماذا نبتت هذه القوى على جسم الثورة الفلسطينية وأساءت إليها كثيراً؟**

- المتطوعون كانوا يأتون إلى التنظيمات الفلسطينية المختلفة من مصادر شتى، وأحياناً ترسلهم أنظمة عربية. عصام العرب كان، في الأساس، عضواً في اتحاد قوى الشعب

---

23 نيسان 1969، وهو صاحب نظرية عزل حزب الكتائب بعد مجزرة عين الرمانة سنة 1975. أصبح أميناً عاماً للحزب الشيوعي في سنة 1979 خلفاً لنقولا الشاوي، واستقال في سنة 1993، ثم اغتيل في بيروت في 21/ 6/ 2005.

العامل، لكن خلافاته مع كمال شاتيلا جعلته ينشق عليه. غير أن تأثيره لم يتعدَ منطقة الحرش. كان حضوره محدوداً جداً ومن الخطأ تضخيم قامته. وكذلك الأمر مع حسن قبيسي(*).

● **لكن كان لهذا التشرذم والمصادمات اليومية تأثير سلبي في الوضع العام.**

ـ نعم. لأن الناس لا تعرف من هو المسؤول وما هو الأمن وما هو غير الأمن. كان يوقع إرباكاً في الحياة اليومية.

---

* كمال شاتيلا: هو رئيس اتحاد قوى الشعب العامل الناصري الاتجاه والذي غيّر اسمه إلى «المؤتمر الشعبي اللبناني». ولد في بيروت في سنة 1944، وأسس اتحاد قوى الشعب العامل في سنة 1965، وخاض الانتخابات النيابية سنة 1972 ففاز نجاح واكيم من بين مرشحيه. غادر لبنان إلى باريس سنة 1984 ولم يتمكن من العودة إلى لبنان إلا سنة 2000. وولد عصام العرب في بيروت سنة 1943، وانضم إلى اتحاد قوى الشعب العامل، لكنه انشق عنه في سنة 1974 بتحريض من خلدون الصلح ذي الولاء البعثي العراقي آنذاك، وأسس «التنظيم الناصري»، واغتاله (علي خيله) في 1986/2/24، أما حسن قبيسي المولود في بيروت سنة 1947 فقد انضم إلى اتحاد قوى الشعب العامل، ثم انشق عنه في سنة 1974، وأسس التنظيم الثوري الناصري - قوات ناصر» سنة 1978، وتلاشى تنظيمه بعد خروج قوات الثورة الفلسطينية من لبنان سنة 1982.

لكن لا نستطيع القول إن الأمور السياسية الكبرى والعناوين الكبرى كانت تتأثر بهؤلاء.

- **لنتذكر في تلك الفترة قوات صلاح الدين، وكاوا الحداد الكردية، وقوات المسلخ، وعشرات الشراذم فضلاً عن «أنصار الثورة» ومصطفى الترك، و«المرابطون» وإبراهيم قليلات. والآخران غادرانا نهائياً، وما عدنا نسمع عنهما لا خبراً ولا بياناً. لماذا غادرا البلد؟**

- إبراهيم قليلات يختلف(*). إبراهيم قليلات ظاهرة وطنية في لبنان. التحق بالثورة الفلسطينية مبكراً، وكان ناصرياً لديه حد من الأخلاق والالتزام. لم يكن لدى «المرابطون»

---

* إبراهيم قليلات: مؤسس «حركة المرابطون» الناصرية. ولد في بيروت سنة 1939، وكان من أنصار صائب سلام في سنة 1958. اتهم بنسف منزل رفيق نجا سنة 1961 لأنه زار دمشق وقدم التهنئة لحكومة الانفصال. واتهم بتحريض عدنان سلطاني على اغتيال الصحافي المعروف كامل مروة في سنة 1968، أسس سنة 1968 «حركة المرابطون»، وكان على صلة قوية بحركة فتح. غادر لبنان سنة 1984 ولم يعد حتى الآن. أما مصطفى الترك فهو الأمين العام السابق لحركة أنصار الثورة، وهي مجرد مجموعة محلية في بيروت. غادر لبنان سنة 1986 إلى مدينة نيس في فرنسا، وتلاشت مجموعته نهائياً.

مشروع سياسي كبير ولم ينتشر تنظيم إبراهيم قليلات في لبنان كله، بل ظل محصوراً في بيروت. هؤلاء هم المرابطون. أما «أنصار الثورة» فللأسف تؤلمني فيهم مسألتان: أولاً لأنهم سرقوا اسم «أنصار الثورة» الذي أسسناه نحن. نحن أول من أطلق اسم «أنصار الثورة» في بيروت. كنا نرغب في أن تكون حولنا تشكيلات سياسية لا ترتبط بتنظيم حركة فتح، لأن الارتباط بالتنظيم له شروطه. وكنا نريد أن نوسع دائرة أنصارنا، فاخترعنا اسم «أنصار الثورة» الذي امتد إلى جامعات مصر. وكانت الفكرة بناء تشكيلات «أنصار الثورة» الفلسطينية في جميع أنحاء الوطن العربي. في ما بعد جاء أحد المسؤولين في المقاومة الفلسطينية إلى مصطفى الترك وأعطاه عدة قطع من السلاح. والترك بدوره استطاع أن يزيد عددها بالسرقات. كانت أعمال «أنصار الثورة» وسخة. نحن اشتبكنا معهم، وقمنا في الكتيبة الطلابية، قبيل سنة 1982، بالهجوم على المنطقة التي كان يسيطر عليها مصطفى الترك وأنهينا هذه الظاهرة، لأنها أساءت إلى الثورة وأساءت بتصرفاتها إلى الناس كلهم.

- **لماذا لم يكن هناك قرار من القيادة الفلسطينية بوضع حد لهذه الظواهر؟**

ـ أحياناً كانت القيادة تعتقد أن تسليح الناس الذين يريدون

أن يدافعوا عن الثورة الفلسطينية هو أمر إيجابي. ولكن عندما تظهر السلبيات كالسرقة كان جهاز الأمن يتحرك لقمع اللصوص ويحاول إيقافهم. والدليل أن ظاهرة مصطفى الترك ما عادت مجرد عملية بسيطة لجهاز الأمن، فنعتقل واحداً أو اثنين وينتهي الأمر، بل اضطررنا إلى الاشتباك معهم نصف نهار تقريباً حتى أمكننا تصفيتهم.

- **أذكر أنني وجهت هذا السؤال إلى الأخ أبو عمار إبان مرحلة بيروت فأجاب: إن هؤلاء قوى محلية صغيرة إذا لم نسيطر عليها فستعمل مع أي جهاز مخابرات آخر مضاد، أكان هذا الجهاز عربياً أو غير عربي، والأفضل وضعها تحت السيطرة وعدم تركها مع الآخرين من القوى المعادية أو المناوئة.**

ـ هذا كلام سليم إذا كان الكادر الذي لديك كفوءاً وقادراً على السيطرة عليها مئة في المئة. فكرة أنصار الثورة جاءت من وجود أناس كثيرين يريدون مناصرتك ولكن لا يريدون الالتحاق بحركة فتح لأسباب شتى وربما عقائدية. كانت هناك مجموعات إسلامية التحقت بحركة فتح وكانت معنا في الكتيبة الطلابية، ثم أصبحت الآن من القيادات العسكرية البارزة لحزب الله. وكانت هناك مجموعات إسلامية جاءت إلينا

وقالت: إننا لا نريد الانضواء في فتح ولكننا نريد أن نتدرب وأن نتسلح وأن ندافع عن القضية الفلسطينية من دون الانخراط المباشر في الحركة، لأن لدينا اتجاهاً إسلامياً ولا نستطيع أن نمارس خياراً إسلامياً مع غير الإسلاميين. هؤلاء أصبحوا مسؤولين كباراً في حزب الله(*). إذن كان هناك الكثير من الظواهر الإيجابية بين الذين نرغب في دعمهم وتسليحهم. وتحليل الأخ أبو عمار صحيح وسليم بشرط أن مَن يتعامل مع هذه القوى يجب أن يكون على مستوى أمني وسياسي وعسكري رفيع ليضبط هذه المجموعات.

* * *

---

* أمثال عماد مغنية (الحاج رضوان) القائد العسكري لحزب الله، الذي نسبت إليه عمليات عسكرية وخطف طائرات، وخضر سلامة (أبو حسن) الذي اغتالته إسرائيل أيضاً شرق مدينة صيدا في سنة 1999. وقد ولد عماد مغنية في سنة 1962، والتحق بحركة فتح في سنة 1975، وقاتل في محور الشياح ـ عين الرمانة في سنتي 1975 و1976، ثم التحق بقوات 17. وبعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان سنة 1982 عين في حراسة السيد محمد حسين فضل الله، ثم التحق بجهاز الأمن في حزب الله وتدرج في المواقع إلى أن اغتالته إسرائيل في دمشق سنة 2008.

التحوُّل من الماركسية
إلى الإسلام

- **في تلك الفترة بدأ التحول الفكري من الماركسية إلى الإسلام لدى بعض الناشطين البارزين. وأستطيع أن أعدِّد الكثيرين من هؤلاء أمثال صديقنا منير شفيق، وروجيه عساف وغيرهم. هل جاء ذلك بسبب الثورة الإيرانية وانتصارها، أم لعوامل أخرى متعددة؟**

- لا شك في أن الثورة الإسلامية في إيران هي التي أعادت إلى الإسلام حضوره السياسي. وهذا التأثير لم يكن مقتصراً على الساحة الفلسطينية فقط أو في لبنان وحده، بل في العالم كله. والثورة الإسلامية أثبتت أن في إمكان الإسلام أن يكون تقدمياً وأن يصارع الصهيونية والإمبريالية وأن يبني دولة حديثة. في إيران بنوا دولة اسمها «الجمهورية الإسلامية»، تقوم على الانتخابات الحرة ولديها نظم عصرية. لقد وجد البعض، أمثال روجيه عساف(*) في الإسلام قيماً سياسية لا قيماً عبادية

---

* ولد روجيه عساف في بيروت سنة 1945. درس الطب ثلاث سنوات في الجامعة اليسوعية، لكنه تحول إلى دراسة المسرح، فسافر إلى فرنسا سنة 1963 لهذه الغاية. وعندما عاد إلى لبنان أسس مع الممثلة نضال الأشقر «محترف بيروت للمسرح» الذي قدم عدداً من

فقط. خطاب الإمام الخميني عرفاني، لكن الناس لا تعرف هذا الخطاب، مع أن خطابه هذا هو من الكتابات الشابة للإمام التي كتبها حينما كان في الثلاثين، وهي عميقة جداً. وثمة كتابات سياسية لها علاقة بالدولة الإسلامية والحكومة الإسلامية وبفلسطين تضعه في مصاف القادة الذين يفكرون بشكل شمولي ويعرفون مخاطر الصهيونية ومخاطر الرأسمالية العالمية.

خطاب الإمام الخميني سلط الأضواء على معايير إسلامية ذات أبعاد جوهرية تمس الإنسان والمجتمع والسياسة وخاصة السياسة الدولية. وبالتالي أصبح هناك يقظة إسلامية، وأنا كنت أضحك عندما أرى بعض الإخوان واليساريين يذهبون إلى المكتبات ويشترون 30 كتاباً إسلامياً دفعة واحدة لأن الشغف في الاطلاع على هذا الفكر تملكهم أيما تملُّك.

- **لكن البعض تخلى عن الماركسية ولم يتجه نحو الإسلام الصافي، بل ذهب إلى طائفته.**

ـ البعض اتجه إلى الإسلام من الناحية السياسية فقط،

المسرحيات التي أثارت حماسة قوية آنذاك مثل مسرحية «مجدلون» (1969)، و«إضراب الحرامية» (1970)، و«آخ يا بلدنا». أسس «فرقة الحكواتي» سنة 1977، وتحول من المارونية إلى الإسلام على المذهب الشيعي.

ولم يدخل إلى العمق الإيماني. وأنا أعتقد أن هذا التحول قصير النفس. والبعض ذهب إلى طوائفه لأنه وجد أن حركته السياسية ستكون أكثر فائدة له ضمن طائفته. وهذا النفر لم يقم بجهد حقيقي للارتقاء من الطائفة إلى الأمة. فهو ذهب إلى الطائفة لأنها تمنحه امتيازاً سياسياً وتوفر له موقعاً سياسياً. غير أن البعض الآخر انتقل من السياسة إلى العرفان. أي أصبح لديه نوع من الدروشة حينما اكتشف التصوُّف في الإسلام، وهؤلاء لا أجدهم اليوم لا في المعركة الفكرية ولا في المعركة السياسية.

- **مثل من؟**

ـ دكتور في الجامعة اسمه...

- **نظير جاهل؟**

ـ نعم. نظير جاهل(*).

---

* ليس نظير جاهل الوحيد الذي تحوّل من الماوية إلى الدين، فهناك كثيرون في هذا الميدان أمثال سعود المولى، ومنير شفيق، وعصمت مراد، وتوفيق الهندي الذي انتقل من منظمة العمل الشيوعي إلى «القوات اللبنانية»، علاوة على محمد عبد الحميد بيضون الذي التحق بحركة أمل قبل أن يغادرها لاحقاً لأسباب سياسية لا لأسباب أيديولوجية.

وديع حداد وكارلوس
والعمليات الخاصة

● **نشاطك الأبرز كان العمل السري مع الشهيد وديع حداد. كيف تتذكر كمال خير بك مثلاً الذي كان شاعراً بارعاً ومناضلاً صلباً، وفؤاد عوض، وميشيل مكربل، وكارلوس؟**

ـ أنا لم أعمل مع وديع حداد مباشرة، لأنني لم أكن عضواً في تشكيلات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتاتاً. بالصدفة اكتشفت أن هناك تشكيلاً يدّعي أنه «أيلول الأسود» وكنت أعرف الكثير عمن هم وراء «أيلول الأسود»(*)، لذلك شككت في عمل هذا التشكيل بسبب ادعائه أنه «أيلول الأسود». ثم اكتشفت أن هذه المجموعة هي لبنانية، وكانت

---

* «أيلول الأسود» تشكيل عسكري سري قام على تأسيسه صلاح خلف (أبو إياد) وساهم فيه أبو داود وفخري العمري وآخرون من حركة فتح. وأشهر عمليات «أيلول الأسود» عملية ميونيخ ضد الفريق الأولمبي الإسرائيلي في 5/ 9/ 1972، وقبلها اغتيال وصفي التل في القاهرة التي خطط لها أبو يوسف النجار وفخري العمري انتقاماً لأبو علي إياد، ونفذها في 18/ 11/ 1971 عزت أحمد رباح ومنذر خليفة وجواد بغدادي وزياد الحلو.

لها علاقة ما بمنظمة «أيلول الأسود»، وأنها، بعد توقف نشاط أيلول الأسود بعد حرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973 ومؤتمر جنيف سنة 1974، أرادت الاستمرار في العمليات ضد إسرائيل. وهكذا تألفت من مجموعة لبنانية على رأسها كمال خير بك(*).

● هو سوري من القرداحة؟

- نعم. هو سوري وشاعر. وأظن أنه شقيق الشاعر أدونيس(**).

---

* ولد كمال خير بك في القرداحة - سورية في 27/ 11/ 1935، وانضم إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي. شاعر كان يوقع بعض قصائده باسم «قدموس». حاز الدكتوراه في الأدب العربي من إحدى جامعات فرنسا، وكان عنوان أطروحته «حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر». التحق بالثورة الفلسطينية، وشكّل مع فؤاد عوض وفؤاد الشمالي خلية سرية نفذت عدة عمليات ضد إسرائيل في أوروبا. وتعاون في ذلك مع محمد بوديا الذي كان مسؤول «أيلول الأسود» في أوروبا، ومع وديع حداد. قتل في اشتباك مع «المرابطون» في بيروت في 5/ 11/ 1980.

** أحد أهم الشعراء العرب في القرن العشرين وأبعدهم أثراً في الحركة الشعرية العربية المعاصرة. ولد في قرية «قصابين» السورية سنة 1930، وانضم إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي في سنة 1948. تخرّج في جامعة دمشق سنة 1954 حائزاً الليسانس في

• **كلا، ليس شقيقاً للشاعر الكبير أدونيس. هو من القرداحة، بينما أدونيس من قرية قصابين. هو من عائلة خير بك المعروفة، بينما اسم عائلة أدونيس اسبر.**

ـ ممكن أن يكون شقيقه لجهة الأم، لأن صحافياً فرنسياً أكد لي أنهما شقيقان.

• **هناك شبه عام بينهما في الشكل.**

ـ تخال أنهما توأمان. الصحافي الفرنسي أكد لي أنهما من أبوين مختلفين ولكنهما من أم واحدة.

• **هذا شأن لا علم لي به البتة، ولدي شك كبير في صحة كلام الصحافي الفرنسي، وأنا صديق لأدونيس.**

ـ مهما يكن الأمر، فقد كان كمال خير بك شاعراً، وكان عضواً في الحزب السوري القومي الاجتماعي، وهو صديق

الفلسفة، ثم جاء إلى لبنان مع زوجته خالدة سعيد في سنة 1956 هرباً من البطش بعد اغتيال العقيد عدنان المالكي. أصدر في بيروت مجلة «شعر» مع الشاعر السوري يوسف الخال التي كان لها أثر قوي في حركة تجديد الشعر العربي. من أشهر دواوينه «أغاني مهيار الدمشقي» و«مفرد بصيغة الجمع». وقد أثار كتابه «الثابت والمتحول» عاصفة فكرية في المشرق العربي حين صدوره سنة 1974.

مقرب جداً من فؤاد الشمالي الذي كانت له صلة بمنظمة أيلول الأسود. وعندما توفي أصدرت «أيلول الأسود» نعياً له ووصفته بأنه أحد كوادرها(*).

- **فؤاد عوض أيضاً كان سورياً قومياً اجتماعياً(**).**

ـ نعم. كان سورياً قومياً اجتماعياً ومقرباً من كمال خير بك. وعلى الرغم من صغر سني كانت تجربتي الأمنية كبيرة. وكلفت نفسي بالتحرك لمراقبة هذه المجموعة والعمل في إطارها في الوقت نفسه. وتطورت عملياتنا من عمليات صغيرة

---

* فؤاد أسعد الشمالي المولود في كسروان سنة 1934 هو أحد أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي انتسب إليه في سنة 1951. بدأ تعاونه مع حركة فتح منذ انطلاقتها في سنة 1965. توفي بالسرطان في سويسرا سنة 1972، وكان متزوجاً أليسار أنطون سعادة.

** ولد فؤاد عوض في بلدة عندقت ـ عكار في سنة 1929، والتحق بالمدرسة الحربية في سنة 1948. انتسب إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي سنة 1947. أسس منظمة سرية في الجيش اللبناني بتوجيه من الضابط السوري غسان جديد الذي اغتيل في بيروت سنة 1956 على خلفية اغتيال عدنان المالكي في دمشق. شارك في الانقلاب العسكري الفاشل في لبنان ليلة 31/ 12/ 1961، فاعتقل وحكم بالإعدام. أفرج عنه في سنة 1970 وأصبح عميداً للدفاع في الحزب السوري القومي الاجتماعي. عمل في المجال الخارجي مع كمال خير بك وفؤاد الشمالي ومحمد بوديا. توفي في 17/ 10/ 1998.

إلى عمليات راحت تكبر بالتدريج إلى أن قمنا بتنفيذ عملية فيينا سنة 1975. ولكن قبل عملية فيينا كانت هناك عملية أورلي التي كان هدفها إطلاق الصواريخ على إحدى الطائرات الإسرائيلية، لكنها فشلت مرتين(*).

- **أمجموعتكم التي قامت بها؟**

ـ نعم، بالاشتراك مع وديع حداد(**). لكن مجموعة

---

* عملية فيينا وقعت في 21/ 12/ 1975 حينما اقتحم كارلوس وأنيس النقاش وهانس يواكيم كلاين وغبرييل تايدمان (ندى) مقر اجتماع وزراء نفط دول منظمة «أوبيك» في فيينا، وسيطروا على الوزراء واقتادوهم إلى الجزائر. وكان بينهم الوزير السعودي أحمد زكي يماني والوزير الإيراني جمشيد أموزيغار. كتب بيان العملية باسم «ذراع الثورة العربية» كمال خير بك الذي خطط العملية مع وديع حداد وفؤاد عوض وكارلوس وويلفريد بوزي. أما عملية إطلاق النار على طائرة إسرائيلية فوقعت في سنة 1974 في مطار أورلي الفرنسي. وهذه العملية التي أمر بها وديع حداد، وقدم الدعم لها كارلوس وميشال مكربل، كانت من صنع مجموعة تونسية بقيادة اللبناني محمد عويضة. وقام أنيس النقاش بشراء قذيفة RBG -7 من مخيم عين الحلوة، وهرّب القذيفة إلى فرنسا. لكن عند التنفيذ لم تنفجر، وانحرفت لتصيب طائرة يوغوسلافية بدلاً من طائرة «إلعال» الإسرائيلية.

** ولد في صفد سنة 1928، وتخرّج طبيباً في الجامعة الأميركية في بيروت سنة 1952. أحد مؤسسي حركة القوميين العرب مع جورج حبش وهاني الهندي وأحمد الخطيب. شارك في تأسيس الجبهة

كمال خير بك لم تتمكن من العمل بمفردها. وكانت فتح أوقفت العمليات الخاصة، ولم يبق إلا وديع حداد، فقامت المجموعة بالاتصال به. وهكذا بدأ التنسيق أو التحالف بين هاتين المجموعتين، تماماً مثلما كان وديع حداد يتعامل مع مجموعات ألمانية ويابانية وغيرها. وعملية أورلي كانت مشتركة بين وديع حداد ومجموعة كمال خير بك، وشارك فيها كارلوس وميشيل مكربل(*).

- **ميشيل مكربل كان في عملية أورلي؟**

ـ نعم، بالتأكيد.

- **هل تتذكر غابرييل كروتشيف تايدمان وهانس يواكيم كلاين ومهمتهما في عملية فيينا؟**

الشعبية لتحرير فلسطين وتولى قيادة العمليات الخارجية في ما عُرف بـ«المجال الخارجي» تطبيقاً لشعار «مطاردة العدو في كل مكان». توفي مسموماً على الأرجح في برلين في 28/ 3/ 1978 ودفن في بغداد.

* ميشيل وهيب مكربل لبناني، عضو في شعبة العمليات الخارجية التي كان يقودها وديع حداد. شارك في عدة عمليات في أوروبا. قتله كارلوس في سنة 1975 مع اثنين من رجال الأمن الفرنسيين بدافع الشك.

ـ كلاين لم أتعرف عليه إلا في فيينا. أول لقاء لنا كان في فيينا، وهو الآن في السجن. أما تايدمان فقد توفيت، وكان اسمها الحركي ندى.

- **أعرف أن التزامك السياسي كان في حركة فتح والثورة الفلسطينية. واتصالك بوديع حداد أو غيره كان جزءاً من عملك لحماية الثورة الفلسطينية وتعزيز أمن الثورة. الآن بعد أكثر من ثلاثين سنة على عملية فيينا، هل يمكن الإعلان عن اسم الدولة التي طلبت إعدام الوزير السعودي أحمد زكي يماني ووزير النفط الإيراني جمشيد أموزيغار؟**

ـ لا، لا يمكن الإفصاح عن هذه الدولة، لأن من شأن ذلك أن يتسبب في مشاكل نحن في غنى عنها.

- **هل تعتقد أن وديع حداد مات اغتيالاً؟**

ـ هذا احتمال وارد. إن السم البطيء، كطريقة في الاغتيال، حقيقة موجودة. وأعتقد أن وديع حداد بعد عملية فيينا خرق كل الخطوط الحمر العربية والدولية والأميركية بالطبع. وبالتالي لا أستبعد أن يكون وقع عند نقطة التقاطع(*).

---

* يؤكد كارلوس أن وديع حداد مات مسموماً (مجلة «الوسط»، 15/

- **لو كان هذا الاحتمال صحيحاً، من هي الجهة التي سممته؟**

ـ من الصعب توجيه اتهام بلا أدلة. ولكنني أستطيع أن أقول مشاعري وحدسي. بعد عملية فيينا فوجئت بالاهتمام الجزائري الخاص بوديع حداد. فوجهوا إليه دعوة وقالوا له: ما هذه المدينة المقفرة التي تدعى عدن والتي لا يوجد فيها أي شيء، وأنت تتخذها مقراً لقيادتك؟ لماذا لا تأتي إلى الجزائر وتقيم قاعدتك هنا؟ جاء وديع حداد إلى الجزائر وبدأت المحادثات لمنحه مجالاً آمناً للعمل، وجرى استكشاف بعض المنازل للسكن وبعض المواقع لتكون مراكز للتدريب شبيهة بما هو قائم في عدن. وتبين بعد عدة زيارات أن شيئاً جدياً لم يحصل. حتى المنازل لم تصبح جاهزة. وأذكر أن حديث

1/ 2001)، وكارلوس هو الاسم الحركي للمناضل الأممي إليتش راميريز سانشيز. ولد سنة 1949 في فنزويلا، والتحق بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وعمل مع وديع حداد. وقد اختلف مع وديع حداد بعد عملية فيينا بسبب مخالفته الأوامر بعدم إعدام الوزير أحمد زكي يماني، فقدم استقالته في 15/ 3/ 1976 وراح يعمل مستقلاً ومع مجموعات أخرى، وأسس «منظمة الثوريين الأمميين». عاش المرحلة الأخيرة قبل اعتقاله في السودان باسم عبد الله برهان. اعتقلته السلطات السودانية بعملية غادرة في 14/ 8/ 1994 وسلم إلى السلطات الفرنسية التي حكمته بالسجن المؤبد في 23/ 12/ 1997.

معاتبة جرى على طلاء أحد المنازل، وكان وديع حداد يقول للجزائريين: «أنتم وعدتمونا بطلائها وحتى الآن لم تُطلَ ولم تسلّم إلينا، وكلما جاء إلى الجزائر وفد منا يذهب إلى الفندق». إن انكشاف تشكيلات وديع حداد على الأجهزة الجزائرية ربما قضى عليه. وأظن أن الرئيس هواري بومدين والأجهزة الجزائرية كانت تعرف أن العمل الثوري أمر، واللعب بمنظمة الأوبك أمر آخر، ولا سيما أن الجزائر دولة نفطية. ومهما يكن الأمر، فهذا تحليلي، وليست لدي أي معلومات في شأنه

• هل بقيت على اتصال بالمجموعة بعد عملية فيينا؟

- لا. انقطع الاتصال لعدة أسباب، أولاً: أنا انكشفت على الجزائريين بعد عملية فيينا. وهذا كان خطأ، لأنني أعلنت لهم حقيقة هويتي وارتباطي بحركة فتح وبالأخ أبو جهاد بالتحديد. فقد رغبت في السفر بسرعة إلى سوريا كي أقدم لأبو جهاد تقريراً عن العملية، وكيف حدثت، ولماذا حدثت. ولا أدري هل كشف الجزائريون أمري لمجموعة وديع حداد أم لا. فالمجموعة ابتعدت عني في ما بعد. ولكن المجموعة نفسها بعد عملية فيينا انتهت. وصل عملها إلى القمة ثم انحسر. وديع حداد قام بعدة عمليات أخرى قبل أن يتوقف نهائياً.

• **مثل عملية عنتيبي؟**

ـ عنتيبي ومقديشو اعتبرتا فشلاً كبيراً. لكن كمال خير بك والمجموعة اللبنانية لم يكن لهما أي علاقة بعنتيبي أو بمقديشو(*).

• **هل تعتقد أن اغتيال كمال خير بك في بيروت هو مجرد حادثة؟**

ـ أنا لم أكن في بيروت وقتذاك. ولكن من الممكن أن يكون استشهاده مجرد حادثة أو، باحتمال أقل، تقاطع أجهزة.

كمال خير بك قُتل في هجوم شنته مجموعة من تنظيم

---

* وقعت عملية عنتيبي في أوغندا في 4/ 7/ 1976 حينما اختطفت مجموعة من جماعة وديع حداد طائرة إسرائيلية. لكن الكوماندوس الإسرائيلي تمكن من اقتحام الطائرة بتواطؤ من بعض الأوساط الأمنية في حكومة الرئيس الأوغندي عيدي أمين، وتخليص الركاب. وقد قتل في العملية يوني نتنياهو شقيق بنيامين نتنياهو، واستشهد كل من فايز جابر وجايل العرجا وأبو الدرداء (عراقي) وفتاة وشاب من ألمانيا. أما عملية مقديشو فقد قامت بها مجموعة أخرى من «المجال الخارجي» بقيادة وديع حداد، وتمكنت من اختطاف طائرة ألمانية. وقد قُتل الخاطفون وجرحت سهيلة السايح.

«المرابطون». وقع اشتباك عند حاجز للحزب السوري القومي الاجتماعي كان يحمي بيت بشير عبيد صديق كمال خير بك. وتطور الاشتباك إلى بيت بشير عبيد الذي قُتل بينما كان كمال خير بك يحاول أن يهدّىء الوضع، فأطلقت عليه النار أيضاً. من الممكن أن يكون ما جرى مجرد حادثة ومن الممكن أن يكون اغتيالاً. لا أدري(*).

- **كانت فتح، فضلاً عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ترتبط بعلاقات تحالفية مع قوى ثورية عديدة في العالم، من أميركا اللاتينية حتى الشرق الأقصى. أنت، في هذا الإطار، هل تعرفت إلى الجماعات الثورية مثل الجيش الأرمني السري وهاغوب هاغوبيان؟**

ـ كلا، لم أتعامل مع الأرمن ولم يكن لي علاقة بهم البتة.

---

* ولد بشير عبيد في بلدة بيت شباب اللبنانية، وانضم إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، وصار، لاحقاً، عميداً للدفاع. قاد قوات القوميين السوريين في معارك الجبل إبان حرب السنتين (75 - 1976)، واستشهد في الاشتباك مع «المرابطون»، الذي افتعله المدعو منير فتحة في 1980/11/5.

• **والجيش الأحمر الياباني؟**

ـ ولا الجيش الأحمر الياباني(*).

• **هل تعرفت إلى أبو نضال؟**

ـ أبداً.

• **حسناً، ماذا تقول عن تجربة أبو نضال في العمل الفلسطيني؟**

ـ ليس سرّاً أن تجربة أبو نضال في العمل الفلسطيني هي تجربة تختلف عن التطرف اليساري أو التطرف الثوري عموماً.

---

* أسست «فوساكو شيغينوبو» الجيش الأحمر الياباني، وهي مولودة في سنة 1946. خططت لعملية مطار اللد التي وقعت في 30/ 5/ 1972 مع وديع حداد والتي استشهد فيها يابانيان، وأسر كوزو أوكاموتو الذي أُفرج عنه في 20/ 5/ 1985 في عملية تبادل للأسرى. اسمها الحركي «مريم»، وقد ظلت تتنقل بين لبنان وسورية وعدن طوال 30 عاماً، وعندما عادت إلى اليابان سراً، اعتقلت في سنة 2000 وحكمت في 23/ 2/ 2006 بالسجن عشرين عاماً بتهمة اختطاف رهائن في سفارة فرنسا لدى هولندا سنة 1974. لها ابنة تدعى مي (مواليد 1983) يُعتقد أنها ابنة أبو علي مصطفى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي اغتالته إسرائيل في رام الله في 27/ 8/ 2001.

أنا أعتقد أن تجربة أبو نضال كانت جزءاً من عملية إجهاض العمل الثوري الفلسطيني. في العمل الثوري هناك شيء اسمه «المحرض». الأجهزة المعادية تخترع من داخل القوى الثورية نفسها قوى متطرفة تقوم بمهمتين: إرباك العمل السياسي بالتطرف، وتهيئة الأحوال للاقتتال بين القوى الثورية. وأبو نضال لم ينفذ إلا هاتين المهمتين: الهجوم على دور العبادة أو أي هدف يهودي في العالم حتى لو لم يكن صهيونياً، وهذه علامة استفهام كبيرة(*). لأن الطفل الفلسطيني الذي يفهم ألف باء السياسة يعرف الفرق بين هذه وتلك؛ ثم التركيز على اغتيال الكوادر الفلسطينية ولا سيما الشخصيات التي كانت تحقق إنجازات سياسية على الصعيد العالمي.

---

* ولد صبري البنا في يافا سنة 1937. انتسب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي سنة 1955، ثم التحق بحركة فتح غداة هزيمة حزيران 1967 بعد أن تعرف إلى صلاح خلف (أبو إياد). فُصل من حركة فتح سنة 1974 في دمشق. أسس «حركة فتح ـ المجلس الثوري» ونفذ سلسلة من عمليات الإرهاب البشعة لمصلحة العراق وغيره، أو للابتزاز المالي. قُتل في بغداد في 16/ 8/ 2002. ومن بين العمليات التي نفذها ضد أهداف يهودية اقتحام معبد يهودي في فيينا في 29/ 8/ 1981 الذي قتل فيه يهوديان وجرح 19 آخرون، والهجوم بالقنابل اليدوية على مدرسة أطفال يهودية تابعة لحركة «أغودات يسرائيل» في مدينة «أنتورب» البلجيكية في 27/ 8/ 1980 التي قتل فيها طفل وجرح 21 آخرون.

• **مثل عز الدين القلق وسعيد حمامي وعصام السرطاوي(*)؟**

ـ نعم. لأن إسرائيل كانت متضايقة جداً من نشاط هؤلاء. وأعتقد، للأسف، أن هذه العمليات صبت في مصلحة القوى المعادية التي كانت تسعى إلى إيجاد اقتتال داخلي وتشويه سمعة الفلسطيني.

---

* ولد عز الدين القلق في صفد سنة 1936 ولجأ مع عائلته إلى دمشق سنة 1948. نال الدكتوراه في الكيمياء من جامعة بواتييه سنة 1969، وتولى تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس بعد اغتيال محمود الهمشري سنة 1973. اغتالته مجموعة أبو نضال في باريس في 1978/8/3. مع عدنان حماد. أما سعيد حمامي المولود في يافا سنة 1974 فكان ممثل منظمة التحرير في لندن، وكان على اتصال بالكاتب الإسرائيلي اليساري يوري افنيري. اغتاله رجل تونسي يدعى كايد حسين في لندن في 4/ 1/ 1978، وهو نفسه الشخص الذي اغتال عز الدين القلق في ما بعد. والسرطاوي مولود في عكا سنة 1934، وقد لجأ مع عائلته إلى العراق في سنة 1948. درس الطب في جامعة بغداد، وانضم إلى حركة القوميين العرب، وشارك في انتفاضة الموصل ضد حكم عبد الكريم قاسم التي عُرفت باسم «ثورة الشواف» حينما كان نايف حواتمة يقود الحركة في العراق. سجن سنة، وعند خروجه من السجن ترك الحركة، وتخرج جراحاً في القلب في جامعة أوهايو. أسس «الهيئة العاملة لدعم الثورة الفلسطينية»، لكنه اندمج بحركة فتح سنة 1971، وتولى منذ سنة 1976 مسؤولية العلاقات الخارجية للحركة. اغتالته جماعة أبو نضال في مدينة ألبوفيرا البرتغالية في 10/ 4/ 1983 بينما كان يشارك في المؤتمر السادس عشر للأممية الاشتراكية.

تأسيس
الحرس الثوري الإيراني

- كيف بدأت علاقتك بالإيرانيين؟

- في سياق التحالف مع القوى الثورية، ومنذ البداية، قمت بمطالعات ودراسات معمقة عن حلف شمال الأطلسي وحلف السنتو. وفهمت مخاطر الدور التركي والدور الإيراني. وكتبت يومها تقريراً للأخ أبو جهاد أقول فيه: «الإمبريالية تخطط بشمول وعلى الثورة أن ترد بشمول». وكنت أعتقد أن للولايات المتحدة الأميركية حليفين كبيرين في المنطقة هما تركيا وإيران، ونحن إذا أردنا أن نغير الموازين في المنطقة علينا أن نعمل على التغيير في هاتين الدولتين. فقال لي أبو جهاد: «توكل على الله يا أخي». وبدأت أنسج علاقات متشعبة مع قوى ثورية تركية وإيرانية. القوى الإيرانية لم تأت من طريقي، بل كان أبو جهاد على اتصال بها. لكن ثمة قوى إيرانية أخرى جاءت إلى لبنان من منابت شتى. وكانت مهمتي أن أجمع هذه الخطوط كلها وأضع مع الأخ أبو جهاد نوعاً من تقدير الموقف: ما احتياجاتهم المادية والسياسية؟ كيف نخوض حواراً استراتيجياً معهم؟ وبعد فترة وجدنا أن الأتراك ليسوا على مستوى الجدية. فهم مجموعات تروتسكية أو ماوية صغيرة

يمكنها القيام بعمل عنفي كبير لكن ليست لهم امتدادات جماهيرية(*). في حين أن الوضع في إيران كان مختلفاً جداً، فالقوى الإيرانية كانت لها امتدادات شعبية، ولها مرجعيات مثل التيار الإسلامي. وأذكر أنني عندما أردت أن أكتب تقريراً عن الإمكانات الفعلية لهذه التشكيلات سألت جلال الدين الفارسي الذي أصبح أول مرشح لرئاسة الجمهورية في إيران: هل تستطيع أن تعطيني فكرة عن امتداداتكم التنظيمية، ومن هم الذين يناصرونكم في إيران؟ فنظر إليّ ببساطة وقال: الشعب كله يناصرنا(**). لدينا علماء الدين والجامعات والشيوخ

---

* من بين الأتراك الذين قاتلوا مع حركة فتح «جنكيز تشندار»، وهو يساري تركي أصبح كاتباً في ما بعد، فضلاً عن بعض الأفراد من حزب الشعب آنذاك.

** بدأ جلال الدين الفارسي نشاطه السياسي في سنة 1953 إبان الانتفاضة الشعبية المناوئة للقوانين الإصلاحية للشاه محمد رضا بهلوي. غادر إيران في أوائل السبعينيات، وأقام في لبنان، وأنشأ علاقات مهمة بحركات التحرر الوطني في العالم الثالث، ثم أصبح المعتمد المفوض للإمام الخميني لدى حركة فتح التي فتحت أذرعها للمعارضة الإيرانية، فدربت عناصرها وقدمت لهم الحماية. بعد انتصار الثورة الإسلامية سنة 1979 رشح جلال الدين الفارسي نفسه لرئاسة الجمهورية، فرفض طلب ترشيحه لأنه مولود لأبوين غير فارسيين بل أفغانيين.

والشباب والكبار، ونحن موجودون في الطبقات كلها. وعلى الرغم من بساطة هذه المسألة إلا أنه كان من الصعب إبلاغها إلى أبو جهاد هكذا، مع أنني كنت مقتنعاً بأن هذا الكلام حقيقي. فالذي يقول، بثقة، إن الشعب معه هو الذي يعمل بجدية. بينما الذي يقول إن لديه كادراً هنا وضابطاً هناك ومسؤولاً هنالك وفيلسوفاً في تلك المنطقة، فهذا يعني أن لديه تنظيماً نخبوياً لا يؤدي إلى نتيجة حاسمة.

- **عاش جلال الدين الفارسي فترة طويلة في بيروت وعمل مع حركة فتح، وكان من بين الإيرانيين الذين تتردد أسماؤهم في لبنان أمثال صادق قطب زاده وطباطبائي.**

ـ صادق قطب زاده لم يكن مقيماً في لبنان تماماً. كان يتردد إلى لبنان وكانت له صلة بالسيد موسى الصدر(*). أما

---

* ولد صادق قطب زادة سنة 1936، وبدأ نشاطه السياسي في سنة 1953 في إطار الحركة الطالبية المعادية للشاه. درس في جامعة جورجتاون وواصل نشاطه السياسي، فطردته السلطات الأميركية، فذهب إلى كندا حيث نال شهادة من إحدى جامعاتها، ثم طرد أيضاً فانتقل إلى فرنسا سنة 1969 بجواز سفر سوري، والتحق بصديقه أبو الحسن بني صدر. عاد إلى إيران بالطائرة نفسها التي أقلت الإمام الخميني سنة 1979، وعين مديراً للإذاعة والتلفزيون، ثم أصبح وزيراً للخارجية. وقد عارض احتجاز الرهائن في السفارة الأميركية

الأكثر فاعلية في نسج العلاقة الإيرانية ـ الفلسطينية فكان الشهيد محمد صالح الحسيني، الذي جاء من العراق وهو إيراني الأصل، وكان له نشاط إسلامي في العراق وسجن بسبب ذلك. وعندما فرّ من السجن جاء إلى لبنان والتحق بالثورة الفلسطينية مع الحفاظ على إسلاميته. كان يعمل في حركة فتح ولكنه أثّر كثيراً في مجموعات إسلامية في جنوب لبنان والبقاع، أصبحت العمود الفقري في حزب الله(*). وكان، حقاً، مهندس العلاقات الأولى بين الإمام الخميني والقيادة الفلسطينية.

بطهران، فاستقال من وزارة الخارجية سنة 1980، فاعتقل وأطلق، ثم اعتقل ثانية في 10/ 4/ 1982 بتهمة التآمر وأعدم بالرصاص في 15/ 9/ 1982.

* أسس مجموعة «أمل الإسلامية» حسين الموسوي المولود في بلدة النبي شيت البقاعية في سنة 1943، وهو يحمل الإجازة في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية. وكان سابقاً عضواً في حركة أمل. وفي سنة 1982، إبان الاجتياح الإسرائيلي، اختلف مع نبيه بري، وترك حركة أمل ليؤسس «أمل الإسلامية». ثم انضم إلى حزب الله، وصار نائباً لرئيس مجلس التخطيط في الحزب، ثم رئيساً له. انتخب نائباً في البرلمان اللبناني سنة 2009.

• **أعرف أنك كنت على صلة دائمة به لتنسيق العمل.**

ـ نعم، أنا ومحمد صالح، كنا، ولا سيما في السنة التي سبقت انتصار الثورة الإيرانية ثم في السنة التي أعقبتها، لا نفترق. وكنا معاً في كل صغيرة وكبيرة.

• **لماذا اغتيل؟ ومن الذي اغتاله؟**

ـ عدة قوى كانت لها مصلحة في اغتياله. وحتى الآن لم تستطع الأجهزة الأمنية إعطاء جواب، ولم يحل اللغز بعد. ولكن أستطيع أن أخمّن أن النظام العراقي كان واحداً من أكثر المتضررين من نشاط محمد صالح الحسيني. وهناك قوى محلية لبنانية كانت متضايقة جداً منه لترجيحه كفة التشكيلات الإسلامية على كفتها، ولاستمراره في العلاقة الفلسطينية ـ الإيرانية والتي كان البعض يريدها أن تكون لبنانية ـ إيرانية فقط، وعلى حساب الفلسطينيين. هذا التقاطع المتعدد يفتح احتمالات كثيرة، ولكنني لم أستغرب اغتياله، على الرغم من ألمي الشديد وأنا في السجن، لأنه كان يتحرك في دائرة الخطر الأولى، وكان ذا فعالية كبيرة. حتى الآن ما زال دوره مجهولاً في تمتين العلاقة السورية ـ الإيرانية والعلاقة الفلسطينية ـ الإيرانية.

• **تطورت علاقتك بالإيرانيين منذ ما قبل الثورة. ومع انتصار الثورة أحسست أنه انتصارك الشخصي أيضاً.**

ـ صحيح. كان انتصارنا المؤكد.

• **حسناً. لماذا أقصي أصدقاؤك بالتدريج، في ما بعد، مثل جلال الدين الفارسي، الذي منع من ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية. ومثل عباس زماني ومحسن رضائي ومحسن رفيق دوست وأبو الحسن بني صدر. هؤلاء أنت تعرفهم جيداً وعملت معهم بشكل قوي. لماذا هم خارج السلطة؟**

ـ كل واحد له أسبابه. بني صدر لم تكن له علاقة بالثورة الفلسطينية. كان في باريس وتعرّفنا إليه عندما أتى إلى طهران. وأعتقد أنه إنسان شريف وذو فكر إسلامي جيد، ولكنه ضعيف جداً في السياسة، لهذا دفع ثمناً سياسياً(*). لم يتهمه أحد بأنه خان الإسلام أو أنه وصولي أو مرتشٍ. كان نظيف الكف فعلاً. أبو شريف دعم بني صدر. أبو شريف قاتل معنا وكان ضمن

---

* ولد أبو الحسن بني صدر في سنة 1932. حاز الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة السوربون. تأثر بآية الله الطالقاني، وشارك في إحدى انتفاضات سنة 1963 التي كان للإمام الخميني شأن فيها، وظل على اتصال به بعد نفيه إلى مدينة النجف، ثم عاد ليلتقيه في باريس حينما أقام الخميني في «نوفيل لو شاتو»، وعاد معه إلى طهران في

الحلقات المقربة جداً التي تعاملنا معها. وأنا أعرفه جيداً، لكنه أيّد بني صدر. وعند ذهاب بني صدر أصبح موقفه حرجاً، فاضطر إلى دفع الثمن، وتسلمت قوى أخرى قيادة الحرس، ثم أبعد إلى السفارة الإيرانية في باكستان، ثم أصبح مستشاراً لحكمتيار وتورط في الحرب الأفغانية ضد الروس(*). فهو،

شباط 1979. أصدر فور عودته إلى إيران جريدة «انقلاب إسلامي» أي «الثورة الإسلامية»، وأشرف على السياسة الخارجية والاقتصاد بعد استقالة حكومة مهدي بازركان. انتخب أول رئيس للجمهورية في إيران في 28/ 1/ 1980، واختلف مع الخميني على مشكلة احتجاز الرهائن الأميركيين، فعزل من منصبه في 10/ 6/ 1981، وغادر إلى المنفى في باريس في 29/ 7/ 1981.

* الاسم الأصلي لأبو شريف هو عباس زماني، وهو أول قائد لحرس الثورة الإسلامية. وقد عين في هذا الموقع بسبب خبرته في الشؤون العسكرية التي اكتسبها من حركة فتح في لبنان. أما قلب الدين حكمتيار فقد ولد سنة 1949 في إحدى قرى ولاية قندوز وهو بشتوني القومية. درس الهندسة المدنية في جامعة كابول وتأثر بكتابات وأفكار أبو الأعلى المودودي وسيد قطب وحسن البنا. أسس الحركة الإسلامية سنة 1968 مع أحد عشر شخصاً استشهدوا جميعاً وبقي وحده في قيد الحياة. أصبح رئيساً للوزراء في سنة 1993 بعد خروج الجيش السوفياتي من أفغانستان، لكنه فرَّ إلى طهران حينما استولت حركة طالبان على الحكم في سنة 1996. وقف ضد الهجوم الأميركي على أفغانستان في تشرين الأول 2001، فأغلقت السلطات الإيرانية مكاتبه في طهران، واضطر إلى العودة إلى أفغانستان في 25/ 2/ 2002.

في نهاية المطاف، ينتمي إلى التيار الإسلامي الأممي، أي أنه يقاتل من أجل فلسطين ومن أجل أفغانستان وليست لديه مشكلة كإيراني. أما جلال الدين الفارسي فلم يكن لديه مشكلة، لكنه لم ينجح في ترشيح نفسه في الانتخابات الرئاسية وأُبعد لأسباب قانونية. القانون كان قاصراً، لكن جلال الدين الفارسي كان أحد الذين صاغوا القانون. وعندما احتج قالوا له: لماذا لم تحتج عندما صيغ القانون؟ هو لم يدرك أهمية المادة التي تنص على أن المرشح لرئاسة الجمهورية يجب أن يكون من أصول إيرانية، أي أنه يجب أن يكون من أم وأب إيرانيين. ليس مثل القانون اللبناني الذي يشترط أن يكون لبنانياً منذ أكثر من عشر سنوات. جلال الدين الفارسي مولود في إيران، ولكن أباه وأمه من الأفغان، فهو ليس من أصول إيرانية. وهذا ما أبعده قانونياً عن الانتخابات.

- **ومحسن رضائي(*)؟**

– محسن رضائي أهم قائد لحرس الثورة الإسلامية، لأنه هو

* ولد محسن رضائي سنة 1945، واعتقل سنة 1973 في زمن الشاه. ساهم في تأسيس حرس الثورة الإسلامية سنة 1979 وعين قائداً له في ما بعد، لكنه قدم استقالته سنة 1994. ترشح لانتخابات رئاسة الجمهورية في سنة 2009 وفشل.

مَن قاد الحرب على العراق. وبعد الحرب لم يُقصِه أحد، بل هو الذي قرر أن يتجه إلى العمل السياسي ويتخلى عن العمل العسكري. وأصبح أمين سر مصلحة تشخيص النظام، وهو مركز كبير.

- **هل صحيح أن فكرة حرس الثورة الإسلامية، بدأت لديك وأنت الذي اقترح هذه الفكرة على الإيرانيين؟**

- أنا كتبت مشروع الحرس ، لأنَ جلال الدين الفارسي جاء إلى منزلي قبل سفره إلى إيران وقال لي: لدينا خوف كبير من أن تتكرر تجربة محمد مصدّق وأن يقوم الجيش غير الممسوك وضباطه الذين تدربوا في أميركا بانقلاب عسكري. قلت له: لنبنِ إذن جيشاً رديفاً. لنبنِ حرساً يحمي الثورة. فقال لي: هل يمكنك أن تكتب لنا مشروعاً في هذا الشأن؟ وكتبت المشروع، وأسميته «الحرس الثوري»، وذكرت في المشروع أن تشكيلات الحرس يجب أن يكون تسليحها خفيفاً (كلاشينكوف وآر بي جي) وأن يتم توزيع العناصر على جميع ثكنات الجيش كالشرطة العسكرية، حتى إذا أراد الجيش القيام بانقلاب تبادر عناصر الحرس إلى إفشال الانقلاب. يومذاك سافر جلال الدين الفارسي مع الأخ أبو عمار إلى طهران في طائرة واحدة، ولم يتمكن من الحضور إلى منزلي

لاستلام المشروع. فجاء محمد صالح الحسيني الذي كان سيغادر لبنان إلى إيران من طريق سورية ليرافق محمد منتظري، فقلت له: هذا المشروع طلبه مني جلال الدين، فخذه له إلى إيران. فأخذ محمد صالح الحسيني المشروع وسافر إلى سورية ومنها إلى إيران. بعد ذلك ذهبت إلى إيران فكان الحرس قد أعلن. وحدثوني كيف قاموا بذلك، فقالوا: إن خمسة من الشبان هم جلال الدين الفارسي، ومحمد صالح الحسيني، ومحمد منتظري، وشخصان آخران، احتلوا إحدى ثكنات الجيش بـ«الهوبرة». الضابط المسؤول اعتقد أن لديهم قوات كبيرة وهم ليس لديهم أحد. قالوا له: هذه الثكنة ستكون مركزاً للحرس. وفي اليوم التالي أُعلن التطوع في الثكنة للحرس الثوري وبدأوا بتجميع المتطوعين. بعد ذلك انطلقت الفكرة إلى المجلس الثوري الأعلى وإلى الإمام الخميني الذي أيّد المشروع. وهكذا انطلق «الحرس الثوري» لحماية الثورة الإسلامية.

* * *

محاولة اغتيال
شهبور بختيار

- كيف حدث أن فشلت محاولة اغتيال شهبور بختيار؟

ـ البداية كانت الخوف من محاولة انقلاب في إيران تعيد العجلة إلى الوراء وتجهض الثورة الإسلامية كما حصل في عهد محمد مصدّق(*). وتبين لنا أن الأميركيين، مع شهبور بختيار وصدام حسين وأطراف أخرى، أجمعوا على أن الانقلاب في إيران ممكن. وكانت حلقة الوصل هي شهبور بختيار وعدد من ضباط الجيش. وعندما صارت المعلومات أكثر جدية كان

---

* ولد محمد مصدق في طهران سنة 1879، ودرس الحقوق في باريس وجنيف. عين وزيراً للمالية سنة 1921 بعد ثورة «المشروطة»، أي الثورة الدستورية. كان معارضاً للشاه رضا بهلوي ثم للشاه محمد رضا بهلوي. أسس الجبهة الوطنية الإيرانية سنة 1947، ونجح في حمل البرلمان الإيراني في سنة 1951 على إصدار قانون يقضي بتأميم النفط. عين رئيساً للحكومة في سنة 1951 ووقع بنفسه قانون التأميم. أقاله الشاه من منصبه في سنة 1953، فرفض محمد مصدق، واندلعت مواجهات شعبية أرغمت الشاه على مغادرة إيران. لكن الولايات المتحدة تمكنت من إعادته، واعتقال مصدق الذي حكم بالسجن 3 سنوات أعقبها فترة من الإقامة الجبرية في حيدر آباد. توفي في آذار 1967.

المطلوب أن نتحرك بسرعة لنجهض محاولة الانقلاب قبل وقوعها، لأن الانقلاب حتى لو فشل فسيؤدي إلى مجازر حتماً. وبعد التأكد من المعلومات صدر قرار بإعدام شهبور بختيار، وكان ينص على أن ينفذ القرار إيرانيون. وبدأنا تدريب فريق الإعدام بسرعة. لكن اتضح أن شهبور بختيار في فرنسا وليس في إنكلترا كما كنا نعتقد(*). وأصبحنا نحتاج إلى من يتكلم الفرنسية. وكنت أنا المخطط للعملية. ومن أجل إنجاحها قررت أن أكون بنفسي على رأس المجموعة. كانت الخطة جيدة جداً، لكن، للأسف، قبل موعد التنفيذ أعلن آية الله صادق خلخالي، ولا أدري ما السبب، أنه أرسل

---

* ولد شهبور بختيار في سنة 1914 في أصفهان لأسرة أرستقراطية. كان والده زعيماً لقبيلة البختياري، لكن الشاه رضا بهلوي أعدمه بعد نزاع مع الحكومة. حاز الدكتوراه في القانون من السوربون وعاد إلى إيران سنة 1946 ليعمل مع محمد مصدق، وعين وزيراً بين 1951 و1953. اعتقل بعد سقوط مصدق وأمضى 12 عاماً في السجن، مع أن الجنرال تيمور بختيار رئيس السافاك آنذاك هو ابن عمه. رفض التعاون مع الثورة الإسلامية، فعينه الشاه رئيساً للوزراء في محاولة لإنقاذ الوضع سنة 1979، فاشترط أن يغادر الشاه البلاد، وهذا ما حدث بالفعل. حاول أن يقيم حكماً دستورياً، لكن عودة الخميني إلى طهران في 1979/2/1 أطاحت جهوده، واضطر إلى الاختفاء، ثم ظهر في باريس. أسس «الحركة الوطنية للمقاومة الإيرانية» في باريس. اغتيل في 1991/8/6.

مجموعة إلى باريس لإعدام شهبور بختيار، ثم راح يردد أنه أرسل مجموعة أخرى وراء الشاه لإعدامه، وأرسل كارلوس إلى أميركا اللاتينية، وهو لم يرَ كارلوس مرة في حياته. وهذا التصريح، كما تبين لي في أثناء المراقبة، أدى إلى اشتداد إجراءات الحراسة(*). وتبين لنا بعد ذلك وفي أثناء التحقيق معي في السجن أن المخابرات الفرنسية كانت تبحث عنا، لكنها لم تتمكن من اقتفاء أي أثر للمجموعة. وكان الأفضل، في تلك الأوضاع، أن نوقف العملية ونؤجلها إلى مرحلة لاحقة. لكن الخوف من الانقلاب الذي بدأ موعده يقترب من دون أن نعرف البتة من هم الضباط، أرغمنا على أن نخاطر ونضرب رأس الأفعى فوراً. وهنا كانت نقطة الضعف في الخطة التي وُضعت قبل أن يتخذ بختيار الحيطة والحذر. ونفذنا العملية، وكانت النتيجة أننا اشتبكنا مع الشرطة التي كانت تحمي البيت ووقع في صفوفها عدد من الضحايا بين قتيل وجريح، وقتلت إحدى الساكنات في المبنى من دون أن تكون مستهدفة.

---

* ولد خلخالي سنة 1931 في أذربيجان. عين مسؤولاً عن المحاكم بعد الثورة الإسلامية، واشتهر بأحكامه القاسية ضد أنصار الشاه وتجار المخدرات واليساريين. توفي في 27/ 11/ 2003.

كنا خمسة في عملية التنفيذ: ثلاثة دخلوا المبنى واثنان بقيا خارجاً. وألقي القبض عليّ وحُكمت بالسجن المؤبد. وبعد عشر سنوات، ونتيجة لضغوطات ومفاوضات قاسية ولنضال عنيد كان أهمها الإضراب عن الطعام الذي قمت به لمدة 130 يوماً متواصلاً؛ فكانوا يعطونني المصل بالقوة بعد ربطي، وافق الرئيس فرنسوا ميتران على البحث في إيجاد حل لقضيتي لأنه كان يرغب في التخلص من هذه الأزمة وإنهاء الإضراب عن الطعام، وفي أن يكون الحل مفتاحاً لإعادة العلاقات الإيرانية ـ الفرنسية إلى شكلها الطبيعي.

● **هل أسهمت عملية خطف الرهائن الفرنسيين في لبنان في إطلاق سراحك؟**

ـ بشكل مباشر كلا. ربما أسهمت في فتح أبواب الحوار بين فرنسا وإيران. ولكن الرهائن أطلقت جميعها ونحن بقينا في السجن. بعد ذلك بسنة وأربعة أشهر أُطلق سراحنا لاعتبارين: ألا يموت أنيس النقاش في السجن، وأن يُفتح خط على إيران بعد توقف الحرب العراقية ـ الإيرانية.

● **هل تتذكر شعورك عندما فشلت العملية؟**

ـ كان أمراً مؤلماً جداً. لمدة 4 أشهر في السجن كنت

كالمهووس لا أفكر في شيء إلا في الفشل. كانت مرارة كبيرة، لأنني اعتقدت أنها عملية سهلة ويجب أن تنجح، وخططنا لها بشكل جيد(*). والخطأ أنني لم أدرك، بشكل دقيق، بعد تصريح خلخالي عن العملية والاحتياطات الأمنية المفاجئة(**). ثم إن باب الشقة كان مصفحاً ضد النار والسرقة وليس خشبياً. كان حاجزاً منعنا من دخول منزل بختيار. لذلك كان يجب أن نستخدم سلاحاً آخر ملائماً. ولو لم نكن تحت ضغط الموعد في ذلك الأسبوع بالتحديد، لكان من الممكن تأجيل العملية وتنفيذها بنجاح.

* * *

---

* جرت محاولة اغتيال شهبور بختيار في 18/ 7/ 1980 وشارك فيها كل من: صلاح الدين القرى (لبناني)، ومهدي التبريزي، ومحمد جناب (إيرانيان) وفوزي الستاري (فلسطيني) وأنيس النقاش. وقد أصيب أنيس برصاصة وقتل في العملية شرطي فرنسي وامرأة فرنسية وجُرح شرطيان.

** التصريح المتبجح لخلخالي أدلى به إلى مجلة «فرانس سوار» في تموز 1980.

السجن وجورج عبد الله
وغياب الأحبة

• السجن، بالتأكيد، كان صعباً جداً ولا سيما مع ابتعادك عن رفاقك في الثورة الفلسطينية والثورة الإيرانية. كيف كانت مشاعرك الإنسانية في تلك الحال؟ وكيف كنت تفكر بزوجتك وابنك؟

ـ من الجانب الإنساني البحت، أنا تركت ورائي ابناً في الثالثة وزوجة في ريعان الشباب وعائلة من أم وأب. من الجانب النضالي كنت أعرف وقع المفاجأة التي حصلت لرفاقي ممن لم يكونوا يعرفون شيئاً عن أنيس النقاش ودوره في العمليات الخاصة. اختلطت الأمور على الكثيرين الذين تساءلوا: كيف يكون أنيس النقاش في الثورة الإيرانية وهو، في الوقت نفسه، مع حركة فتح؟ الجانب الآخر هو البعد عن الساحة الرئيسية في لبنان؛ فأنا كنت بدأت، منذ اجتياح آذار (مارس) 1978، عملية الانتقال إلى مرحلة بناء المقاومة الإسلامية لتحرير لبنان.

• تقصد المجموعات المدربة التي ذهبت إلى الجنوب لتأسيس القواعد والقتال؟

ـ نعم. وأسميناها، في البداية «حركة الأرض»، ثم تغير

اسمها إلى «حركة لبنان العربي»(*) . عندما انتصرت الثورة الإيرانية، وأنا كنت أحد الفاعلين والمشاركين في هذا الانتصار، كان أول موضوع ناقشته مع الإخوة الإيرانيين هو رد الجميل إلينا، أي مساعدة المقاومة في لبنان، فكانت لنا حوارات طويلة حول بناء المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان من أجل تحريره. وبدأت كتاباتنا وتحليلاتنا وتصوراتنا تتجه نحو رفع مستوى وعينا الإسلامي. لكن اعتقالي في فرنسا وابتعادي عن الساحة اللبنانية كان لهما الأثر السلبي الكبير في هذا التحضير الذي تأخر إلى عام 1982. ولو كنا تابعنا استعدادنا قبل عام 1982، لكانت ظاهرة المقاومة نمت بشكل كبير. ولهذا تلقيت الكثير من الملامة من بعض الإخوان الذين كانوا معي لأن صلتنا انقطعت في الوقت الذي كنت أقوم بدور كبير في بناء المقاومة في جنوب لبنان. هذه القطيعة هي التي أثرت في تأخير عملنا، لكن الأمور

---

* أسست «حركة لبنان العربي» في سنة 1982، وكان المسؤول عنها الدكتور عصمت مراد، وهو طبيب تخرج في جامعة تولوز، وكان ماوياً وقريباً من حركة فتح. وقد أسس بعد عودته من فرنسا «اتحاد الشبيبة» في طرابلس. وانضم إلى خليل عكاوي «أبو عربي» وسعيد شعبان في تأسيس «حركة التوحيد الإسلامية» التي لم يلبث خليل عكاوي أن غادرها في سنة 1984 ليؤسس «لجان الأحياء والمساجد». وقد اغتيل أبو عربي في 9/ 2/ 1986، واغتيل عصمت مراد أيضاً.

تجري بنا ومن دوننا. وهذا درس سياسي مضمونه أن الظروف الموضوعية هي الأقوى دائماً من الظروف الذاتية. أي أن الإنسان جزء من آلة كبيرة، ربما تستفيق على فكرة اليوم وتكون السبّاق إليها والرائد فيها، لكن عدم تنفيذك الفكرة لا يعني أن هذه الفكرة لن تنبثق في مكان آخر أو لدى شخص آخر.

- **كيف تلقيت وأنت في السجن نبأ حرب 1982 وخروج المقاومة الفلسطينية من لبنان؟**

ـ كان مؤلماً جداً لي عدم المشاركة في الحرب، لأنني ابن بيروت، وبيروت كانت محاصرة، وأنا أعرف الشباب الذين تربيت معهم أو دربتهم أو دربوني أو الذين كنت مسؤولاً عنهم أو كانوا مسؤولين عني. لكن الحرب لم تكن مفاجأة لي. فقبل الاجتياح، ومع انتصار رونالد ريغان في الانتخابات الأميركية وتعيين ألكسندر هيغ وزيراً للخارجية، كتبت رسالة من السجن إلى الإخوة في مركز التخطيط(*) تقول: إن احتمال اجتياح

* مركز التخطيط تابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، أسسه الدكتور يوسف صايغ في سنة 1969 ثم تولى نبيل شعث إدارته، فمنير شفيق، قبل أن يندثر بين تونس وغزة. وكانت آخر مديرة له سلافة حجاوي. وفي سنة 2009 تولى الدكتور أحمد مجدلاني مهمة إعادة إحياء هذا المركز.

لبنان وارد جداً، وإن الإمكانات العسكرية الإسرائيلية هي كذا وكذا، وعرضت تصوراً متكاملاً للاجتياح، وهو ما حصل فعلاً.

- **متى كتبت هذه الرسالة؟**

ـ في شتاء سنة 1981.

- **هل كانت الرسالة مبنية على معلومات أم على تحليل؟**

ـ على التحليل بالطبع. أنا كنت في السجن ولكني كنت أقرأ كثيراً وأراقب الأمور بدقة. في السجن الفرنسي كان مسموحاً لنا أن نشتري الصحف والمجلات مثل النيوزويك واللوموند واللوموند دبلوماتيك والنوفيل اوبزرفاتور. أي تشكيلة من الصحف اليومية والأسبوعية وباللغتين الإنكليزية والفرنسية. وهذه مصادر أتاحت لي إمكانية لا بأس بها للتحليل السياسي.

- **هل أرسلت الرسالة إلى محجوب عمر؟**

ـ نعم. هذه الرسالة تحتفظ وزارة الخارجية الفرنسية بنسخة منها. إن وزارة العدل هي التي كانت تقرأ وتترجم رسائلي. ولكن عندما وجدوا فيها مقاربة سياسية طويلة أرسلوا

نسخة منها إلى ملفي. والشخص المكلف في وزارة الخارجية بمتابعة ملفي لأنني سجين سياسي، هو الذي اعترف لي بذلك عندما أتى مع ماري سورا (زوجة الرهينة ميشال سورا(*) الذي توفي في أثناء اختطافه في بيروت) للبحث في مسألة الرهائن، وقال لي: نحن نعرف الكثير عنك وعن معرفتك السياسية، والرسالتان اللتان أرسلتهما لا يكتبهما إلا شخص له أفق سياسي وخبرة سياسية. فقلت له: عن أي رسالتين تتحدث؟ أجابني: عن واحدة تتحدث فيها عن الحرب المتوقعة في لبنان، وأخرى عن الحرب الإيرانية ـ العراقية كنت أرسلتها إلى السفارة الإيرانية لتحديد الموقف التركي من الحرب في ذلك الوقت.

- **تلقيت نبأ مؤلماً جداً وأنت في السجن. إنه نبأ اغتيال**

---

* ميشال سورا باحث فرنسي مؤيد للقضايا العربية. ولد سنة 1944، وأقام في سورية 19 عاماً، وزوجته ماري من حلب. ثم جاء إلى لبنان لمتابعة دراساته وأبحاثه. واختطف في لبنان في 22/ 5/ 1985، وأعلنت «منظمة الجهاد الإسلامي» مسؤوليتها عن اختطافه، وهي منظمة استخبارية ذات علاقة مباشرة بالاستخبارات الإيرانية. توفي لدى مختطفيه في 5/ 3/ 1986 ولم تسلَّم جثته إلى ذويه على الرغم من الحملة العالمية لإطلاقه وكشف مصيره. اكتشفت رفاته في أواخر سنة 2005 في منطقة الرمل العالي القريبة من بيروت، ونقلت إلى فرنسا في 7/ 3/ 2006، وجرى لها وداع رسمي في مطار بيروت الدولي.

الشهيد أبو جهاد. كيف كان وقع الخبر عليك؟

- ثلاثة أنباء مؤلمة جداً نزلت عليّ في سجني. النبأ الأول استشهاد محمد صالح الحسيني، وهذا الخبر أرغمني على البقاء ثلاثة أيام بلا طعام. كنت سابقاً أسمع عن «واحد زعلان ما عاد يأكل»، ولم أكن أستوعب ذلك، إلى أن حدث الأمر معي تماماً. وفي السجن اعتقدوا أنني مضرب عن الطعام، فجاء رئيس الحرس وقال لي: إذا كنت مضرباً عن الطعام فاكتب رسالة بمطالبك، وإلا فلا يجوز لك أن تضرب عن الطعام. فقلت له: أنا لست مضرباً عن الطعام واغرب عن وجهي. النبأ الثاني هو وفاة والدي وأنا في السجن. كان النبأ مؤلماً جداً لأن لي علاقة عاطفية متينة وغير عادية مع والدي. والنبأ الثالث هو استشهاد أبو جهاد الذي نقله إليّ في الصباح الباكر جورج إبراهيم عبد الله(*). كنا معاً في السجن وكان

* ولد سنة 1952 في القبيات - عكار. التحق بالحزب السوري القومي الاجتماعي سنة 1965، ثم انضم في سنة 1970 إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان ناشطاً في صفوف «حزب العمل الاشتراكي العربي»، وشارك في حرب السنتين مقاتلاً في الجبل والجنوب. أسس «الألوية الثورية اللبنانية» التي اختطت نهج وديع حداد في العمليات الخاصة، وأقام علاقات وثيقة مع الألوية الحمراء الإيطالية ومنظمة العمل المباشر الفرنسية والجيش الأحمر الياباني. اعتقل في مدينة ليون سنة 1984 وكان يحمل جواز سفر جزائرياً باسم عبد

يستيقظ باكراً ويستمع إلى إذاعة لبنان. وعندما سمع الخبر جاء فوراً وقال لي: إن أبو جهاد استشهد. فاعتبرت استشهاده نكسة جديدة. حزنت جداً وتذكرت الأيام كلها التي أمضيناها، واللحظات الصعبة التي كنا فيها معاً. وعندما خرجت من السجن وذهبت إلى تونس شرحوا لي كيف كان وضعه النفسي عندما كان يشاهد أطفال الحجارة وهم يهجمون على الجيش الإسرائيلي، فكان يقول: «خلص. فلسطين أصبحت حرة ولا أحد يستطيع أن يوقف عملية التحرير».

* * *

القادر سعادة، علاوة على خمسة جوازات سفر أخرى مزورة عليها جميعها صورته. حكم بالسجن مدى الحياة في 28/ 2/ 1987 بعدة تهم منها المشاركة في اغتيال الدبلوماسي الأميركي تشارلز روبرت راي في باريس سنة 1982، والسكرتير الثاني في سفارة إسرائيل لدى باريس يعقوب بارسيمنتوف في 3/ 4/ 1984 والمتهمة معه كارولين اسبر البيطار، والتواطؤ على اغتيال القنصل الأميركي في ستراسبورغ روبرت أونان هوم في سنة 1984.

حرب المخيمات
أسرار جديدة

• الحرب على المخيمات في لبنان اندلعت وأنت في السجن. لماذا اندلعت بحسب رأيك؟

ـ تشابكت الخطوط يومها، وكانت هناك مصلحة لخطين أساسيين بأن لا يكون هناك نفوذ للثورة الفلسطينية في لبنان ولا سيما في بيروت. الثورة الفلسطينية كانت تحاول أن تحافظ على نفوذها في المخيمات. والآخرون كانوا يريدون منعها من إعادة تكوين كيان لها في لبنان. لهذا اندلعت الحرب.

• وفي هذا السياق وقع الانشقاق في حركة فتح؟

ـ لا. الانشقاق سبق الحرب على المخيمات.

• طبعاً. أقصد أن الحدث وقع في سياق منع منظمة التحرير الفلسطينية من إعادة تكوين هيكلها في لبنان. الانشقاق حصل في 9/ 5/ 1983 في حين أن الحرب على المخيمات وقعت في سنة 1985.

ـ هذا صحيح.

• **هل التقيت ياسر عرفات بعد خروجك من السجن.**

ـ نعم.

• **كيف كان لقاؤكما؟**

ـ كان لقاءً حاداً وحاراً في الوقت نفسه.

• **حاداً وحاراً؟ كيف؟**

ـ نعم. كان حاداً وحاراً. لأنني أحبه وأقدره وهو يبادلني الشعور نفسه. ولكن المرحلة التي ذهبت فيها إلى تونس لمقابلته كانت مرحلة اشتباك فتح وحزب الله في الجنوب اللبناني. وأنا كنت أعتقد أن هذا الصدام خطأ مئة بالمئة ويجب تصحيحه.

• **تقصد الاشتباك في إقليم التفاح؟**

ـ نعم. في إقليم التفاح. وكنت أعتقد أن هذا الموقف يجب تصحيحه فوراً. ولكني اكتشفت، بعد ذلك، أنني كنت غبياً في تلك المسألة. ومع أن الأخ أبو عمار قال لي قبل أن أغادر تونس: نحن معك وسنسير في التحالف الذي تدعو إليه بين فلسطين وإيران أو بين فتح وحزب الله، إلا أنني فوجئت

بأن الموقف الإيراني أبعد من ذلك، وفهمت أن الطرفين يفهمانِ بعضهما جيداً، وأننا كنا نحلم بشيء غير قابل للتحقق.

- **لكن كان من الممكن تجنُّب المواجهة في إقليم التفاح على أقل تقدير؟**

ـ المواجهة كانت واقعة عندما وصلت.

- **كانت مستغرَبَة تماماً، لأنها وقعت بينما حرب المخيمات محتدمة، وحزب الله كان يعارض هذه الحرب. فإذا الآية في الجنوب تنقلب. هنا، في بيروت، يتحالفون مع حزب الله ضد حركة أمل، وهناك في الجنوب يتحالفون مع حركة أمل ضد حزب الله. كانت الصورة غير مفهومة على الإطلاق.**

ـ الأخبار التي وقعنا عليها بعد ذلك أوضحت أن لقاءات سرية كانت تدور بين أمل وحركة فتح في عدن والجزائر. وتم التفاهم على الوضع في الجنوب. لذلك كان دخول حزب الله ببرنامج خاص به يخالف هذه المعادلة.

- **من التقى من حركة أمل مع حركة فتح في عدن والجزائر؟**

ـ لا أعرف أسماء الأشخاص. ولكني أعرف أن الذي

رتب اللقاءين هو محسن إبراهيم الذي عقد لقاءً واحداً في اليمن والثاني في الجزائر.

* * *

هل انتهى العنف الثوري؟

● **الآن هل أنت مطارد من أية جهة؟**

ـ لا. لا أعرف على وجه الدقة. ولا أعرف إذا كانت هناك جهة تطاردني. قضائياً لست مطلوباً في أي دولة من دول العالم. ولكن بعض الدول لا تمنحني تأشيرة سفر.

● **هل تتوقع أن يبقى كارلوس طويلاً في السجن علماً أنه محكوم بالمؤبد؟**

ـ نعم، من الممكن أن يبقى طويلاً، لأنه لا توجد قوى سياسية مقتدرة تطالب به، ولا سيما في خضم موجة مكافحة «الإرهاب في العالم». لا توجد أجواء مواتية للإفراج عنه.

● **أتشعر بالأسى للعلاقة الوثيقة التي كانت بينكما؟**

ـ أنا متألم جداً من موقف السودان. طريقة تسليمه ليست طريقة إنسانية أو مبدئية حيال إنسان وقف إلى جانب الحق العربي وضحى بحياته في سبيل الحق العربي. لا يجوز أن يتم

التعامل معه بهذا الشكل(*).

- **يبدو أن جماعات العنف الثوري انتهت. كارلوس في السجن، يواكيم كلاين في السجن أيضاً، قادة الجيش الأحمر الياباني في السجن، عبد الله أوجلان في السجن، هاغوب هاغوبيان قُتل، أُسامة بن لادن في طريقه إلى الموت أو الاعتقال، صبري البنا (أبو نضال) انتهى مصيره.**

ـ المحرك الذي كان يحرك صبري البنا (أبو نضال) ليس ذاتياً. إنه عبارة عن تقاطع أجهزة استخبارية. إنه مختلف تماماً عن جميع الأسماء التي ذكرتها. أما جوابي عن كلامك أن المجموعات الثورية جميعها في السجن فأقول: هذا هو واقع الأمر الآن، وليس بالضرورة أن يكون الغد مثل الأمس، فالظاهرة الثورية تتوالد، وهي، بوجودها، تكشف أن العدل غائب في العالم.

أنا كنت أفكر في أن بعض رموز الثورة العربية وثورات التحرر الوطني لم تكن أكثر لمعاناً من أسامة بن لادن أو عبد الله

* كانت خيانة مهينة قام بها حسن الترابي والنظام السوداني اللذان دبرا عملية اعتقال كارلوس ونقله مخدراً إلى فرنسا بالتعاون مع الاستخبارات الفرنسية.

أوجلان(*). عبد القادر الجزائري(**) كان نجماً ساطعاً في

---

* ولد عبد الله أوجلان سنة 1950 في إحدى قرى محافظة أورفة (الرها). درس العلوم السياسية في جامعة أنقرة ولم يتمكن من التخرج. أسس حزب العمال الكردستاني في سنة 1978، وغادر تركيا في سنة 1981، وأعلن الكفاح المسلح في 15/ 8/ 1984. يُلقب بـ«آبو» أي العم. أقام في سورية منذ سنة 1981 حتى سنة 1998، واضطر، تحت ضغوط كثيرة على سورية، إلى مغادرتها إلى موسكو في 19/ 10/ 1998، وراح يتنقل بين موسكو وروما وأثينا وميلانو وسويسرا. وكانت هذ الدول ترفض دخوله أراضيها. وحاول الالتجاء إلى محكمة العدل الدولية في هولندا، لكن الأخيرة رفضت دخوله إلى أراضيها. ثم فاجأ السفارة اليونانية في نيروبي بالوصول إليها والإقامة فيها. وبينما كان متوجهاً إلى هولندا ثانية لعرض قضيته أمام محكمة العدل الدولية بموجب اتفاق مع الحكومة اليونانية كمنت له مجموعة من الاستخبارات الكينية بالتعاون مع الموساد والمخابرات الأميركية CIA واعتقلته ثم سلمته إلى السلطات التركية التي حكمت عليه بالإعدام في 29/ 6/ 1999، وعلق تنفيذ الحكم في 12/ 1/ 2000. أما أسامة بن لادن المولود في الرياض سنة 1952 لأب من أصل حضرمي وأم سورية، فقد صار أشهر إرهابي في العالم بعدما اعترف بأن تنظيم «القاعدة» هو الذي نفذ عملية تدمير برجي نيويورك. وأسامة هو تلميذ الإسلامي الفلسطيني المتطرف عبد الله عزام الذي أدار ظهره لفلسطين وسافر إلى أفغانستان لمقاتلة السوفيات. ويعيش بن لادن مُطارداً ومُتخفياً في جبال «تورا بورا» منذ سقوط حكم طالبان في أفغانستان سنة 2001.

** ولد عبد القادر الجزائري سنة 1807، وباشر المقاومة الجزائرية ضد

تاريخ الأمة العربية. ولكن ماذا حقق عبد القادر؟ اقتيد أسيراً بعد 15 عاماً من القتال ضد الفرنسيين إلى فرنسا. استسلم بعد خيانة قبائل جاءت من المغرب وطعنته في الظهر. وبعد أن أمضى فترة في السجن، على الرغم من الاتفاق على عدم سجنه، انتهى في المنفى. التاريخ يذكر أنه وصل إلى ميناء أسطنبول ولم يكن في استقباله أحد من المسؤولين في السلطنة، كأنه لم يحمل لواء التحرر في سبيل عودة الجزائر إلى أهلها وإلى السلطنة العثمانية. ثم اختار سوريا للعيش فيها ولقضاء آخر أيام حياته إلى جانب قبر محيي الدين بن عربي(*). وعبد الكريم الخطابي أيضاً قائد ثورة الريف انتهى منفياً في مدغشقر أو جزر القمر. وهذا لا يعني أن الهزيمة لا

الاحتلال الفرنسي في وهران سنة 1830 أي فور وقوع الاحتلال. استسلم إلى الفرنسيين في سنة 1847 فنقل إلى طولون وسجن أربع سنوات، وزاره نابليون في سجنه، ثم أفرج عنه بشرط عدم العودة إلى الجزائر، فاختار دمشق التي وصل إليها سنة 1853. وتوفي في 1883/5/25. وبعد استقلال الجزائر نُقلت رفاته إلى بلاده.

* أشهر المتصوفين العرب، وصاحب «الفتوحات المكية» و«تُرجمان الأشواق» و«فصوص الحكم». ولد في 27/ 8/ 1165 في مدينة «مرسية» في الأندلس، ثم عاش فترة في اشبيلية، وتعرف في جامع قرطبة إلى ابن رشد. ارتحل إلى المشرق العربي وتعرف إلى السهروردي وابن الجوزي وابن عساكر وصلاح الدين الأيوبي، واستقر في صالحية دمشق إلى أن توفي في 16/ 11/ 1240.

تؤسس لانتصار جديد. فها هي الجزائر تحررت في ما بعد، واستقل المغرب(*). عمر المختار لم يحرر ليبيا، ولكن لا أحد يمكنه القول إن الإيطاليين احتلوا ليبيا بلا مقاومة(**).

أنا أعتقد أن بعض الظروف الموضوعية والإقليمية والدولية ربما لم تساعد البعض، لكن هذا لا يعني أن نحكم على حركة هؤلاء بأنها كانت فاشلة وسلبية. كانوا يؤسسون لحالات أخرى تأتي بعدهم وتراكم فوق إنجازاتهم، وتحقق نصراً.

---

* ولد عبد الكريم الخطابي في أغادير بالمغرب سنة 1882، وساهم في النضال ضد الاستعمار الإسباني ومقاومة الاستعمار الفرنسي. اعتقل سنة 1918، وبعد خروجه من السجن قاد نحو 10 آلاف مقاتل وأعلن الحرب على الاستعمار، وخاض معارك ناجحة مثل معركة «أنوال» في سنة 1921. أسس «جمهورية الريف». لكن في ربيع 1925 شنت القوات الفرنسية حملة كبيرة ضده بالاشتراك مع الإسبان بقيادة فيليب بيتان، فاضطر إلى الاستسلام في 26/ 5/ 1926، فنفي إلى أحد سجون جزيرة «رينونيون» في المحيط الهادي. وفي ما بعد تمكن من اللجوء إلى القاهرة التي عاش فيها حتى وفاته سنة 1963.

** ولد سنة 1858 في برقة. قاد قبائل «واداي» في الثورة على الفرنسيين في جنوب ليبيا المحاذي للجزائر، ثم قاد النضال ضد الاحتلال الإيطالي في سنة 1911، وكان على رأس 263 معركة اندلعت خلال 20 شهراً. وقع في الأسر في 15/ 9/ 1931 فأمر الجنرال غرازياني بإعدامه، وأعدم في 16/ 9/ 1931.

• ماذا تقول في الكلام الأميركي الرائج جداً اليوم على محاربة الإرهاب في العالم؟

- فكرة محاربة الإرهاب جوهرها أن الولايات المتحدة الأميركية تريد أن تحارب القوى الثورية في العالم، التي تُطلق عليها اسم «الإرهاب». هذه القوى هي قوى متمردة على السيطرة غير العادلة للولايات المتحدة في العالم. لذلك أعتقد أن هناك ظواهر أخرى مثل «القاعدة» ستخرج إلى الفعل في المستقبل، وليس بالضرورة أن تكون إسلامية. بالتأكيد ستظهر قوى متضررة في العالم تقول: أنا أيضاً سأحارب الولايات المتحدة وغطرستها. وهذه النتيجة ناجمة عن العولمة؛ فالولايات المتحدة تفرض عولمة معينة على العالم، والعولمة غير العادلة ستؤدي إلى رد ثوري عولمي يعاكسها. وإذا لم يحصل هذا الأمر فيكون الأمل فقد في الإنسان وفقد معه جوهر الحرية، وهذا غير معقول. أشكال النضال تتغير، والخريطة الجغرافية والجيو سياسية تتغير. والأدوات السياسية تتغير والشعارات تتبدل، لكن جوهر الصراع هو نفسه.

• الجوهر هو سعي الإنسانية المتألمة إلى الحرية والعدالة، أليس كذلك؟ ثم هل ما زالت أحلام الثورة لديك على بهائها السابق؟

ـ صار لدينا وعي نقدي أعمق ومعرفة في جدلية بناء الثورة وفي طبيعة القوى المضادة. وأصبحنا نعرف كيف تخاض المواجهات بشكل أفضل. وقد يكون الكثير لا يزال ينقصنا، إلا أن المطلوب دائماً هو تطوير العمل الثوري والاستفادة من التجارب السابقة. وأي عمل ثوري يجب أن ينطلق من صدقية الشعار والمبدأ فحسب. وأقول: ما دامت شعلة الثورة العالمية مستمرة فلا أعتقد أن الظلم والظالمين سيرتاحون.

- **متى ستذهب إلى فلسطين؟**

ـ في أقرب فرصة تسمح لنا فيها الأحوال. ليس لدي شروط للذهاب إلى فلسطين. في أية لحظة أتمكن من الدخول إلى أرض فلسطين سأدخل.

* * *

المحتويات

تقديم 5

البدايات وبيروت والوعي المبكر 11

ساحة البرج والمخيم والذاكرة المحتدمة 23

حركة فتح والغرام وأوائل الأساتذة 35

بين السياسة والأمن 59

مقدمات الحرب الأهلية والتجاوزات الفلسطينية 69

الحرب الأهلية وكمال جنبلاط والكتيبة الطلابية 85

المقاومة واليسار وموسى الصدر وحرب الفنادق 107

التحوُّل من الماركسية إلى الإسلام 131

وديع حداد وكارلوس والعمليات الخاصة 137

تأسيس الحرس الثوري الإيراني 153

محاولة اغتيال شهبور بختيار 165

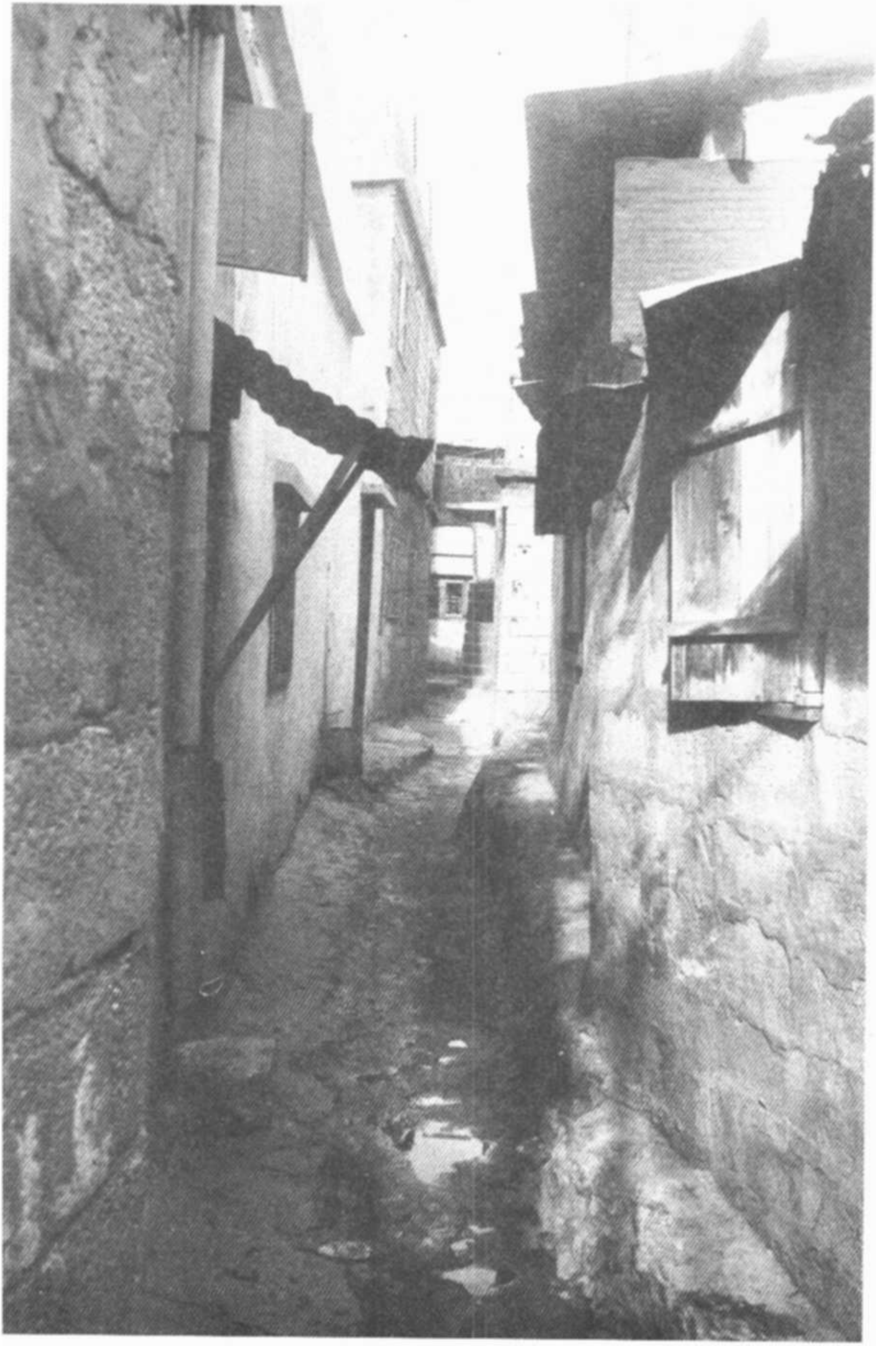
السجن وجورج عبد الله وغياب الأحبة 173

حرب المخيمات: أسرار جديدة 183
هل انتهى العنف الثوري؟ 189
ملحق الصور 201

ملحق الصور



أنيس النقاش



أحد الأزقة في المخيم



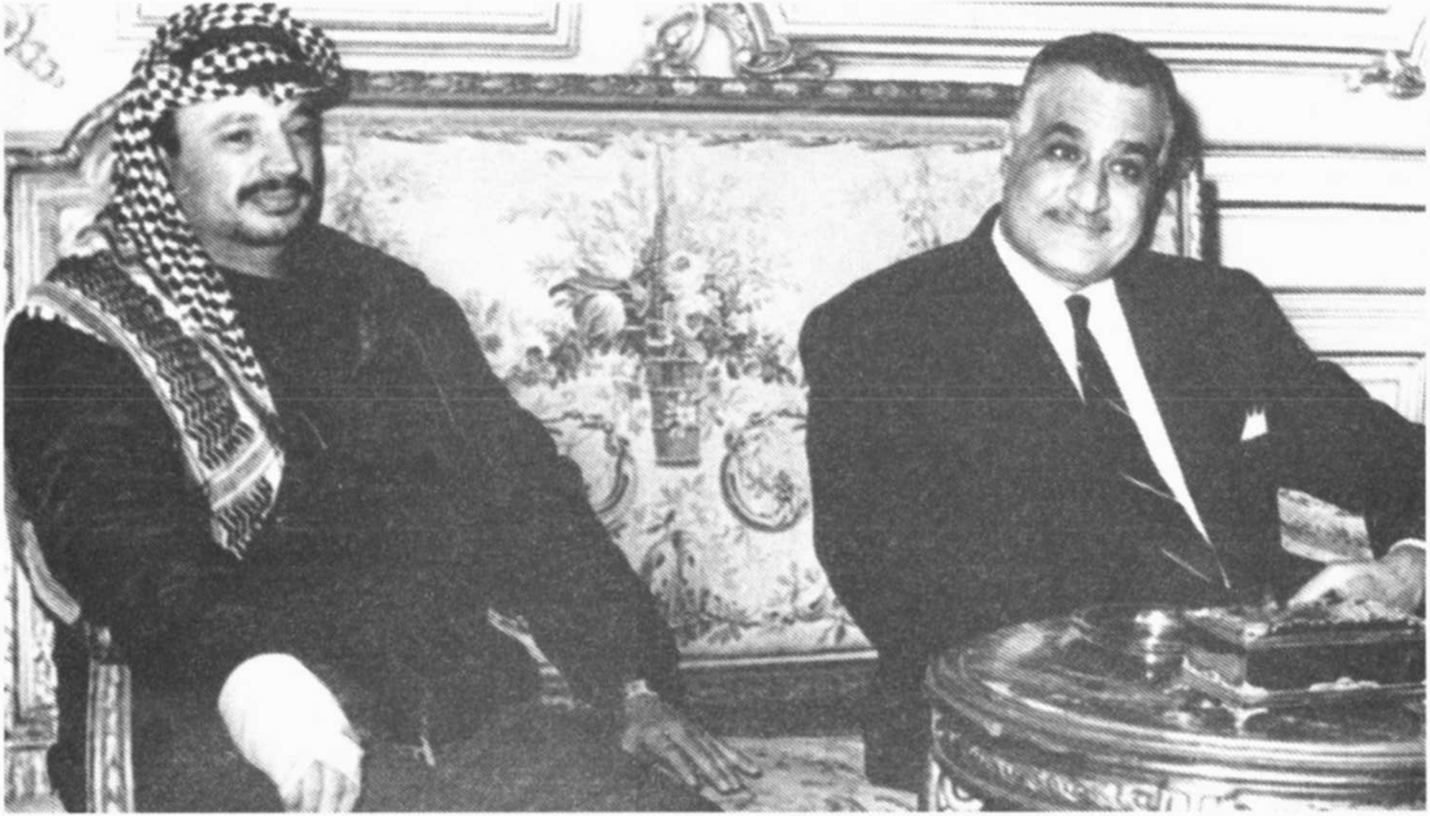
حي صبرا



وفد لبناني في دمشق للتهنئة بالوحدة
وفي الوسط الرئيسان جمال عبد الناصر وشكري القوتلي



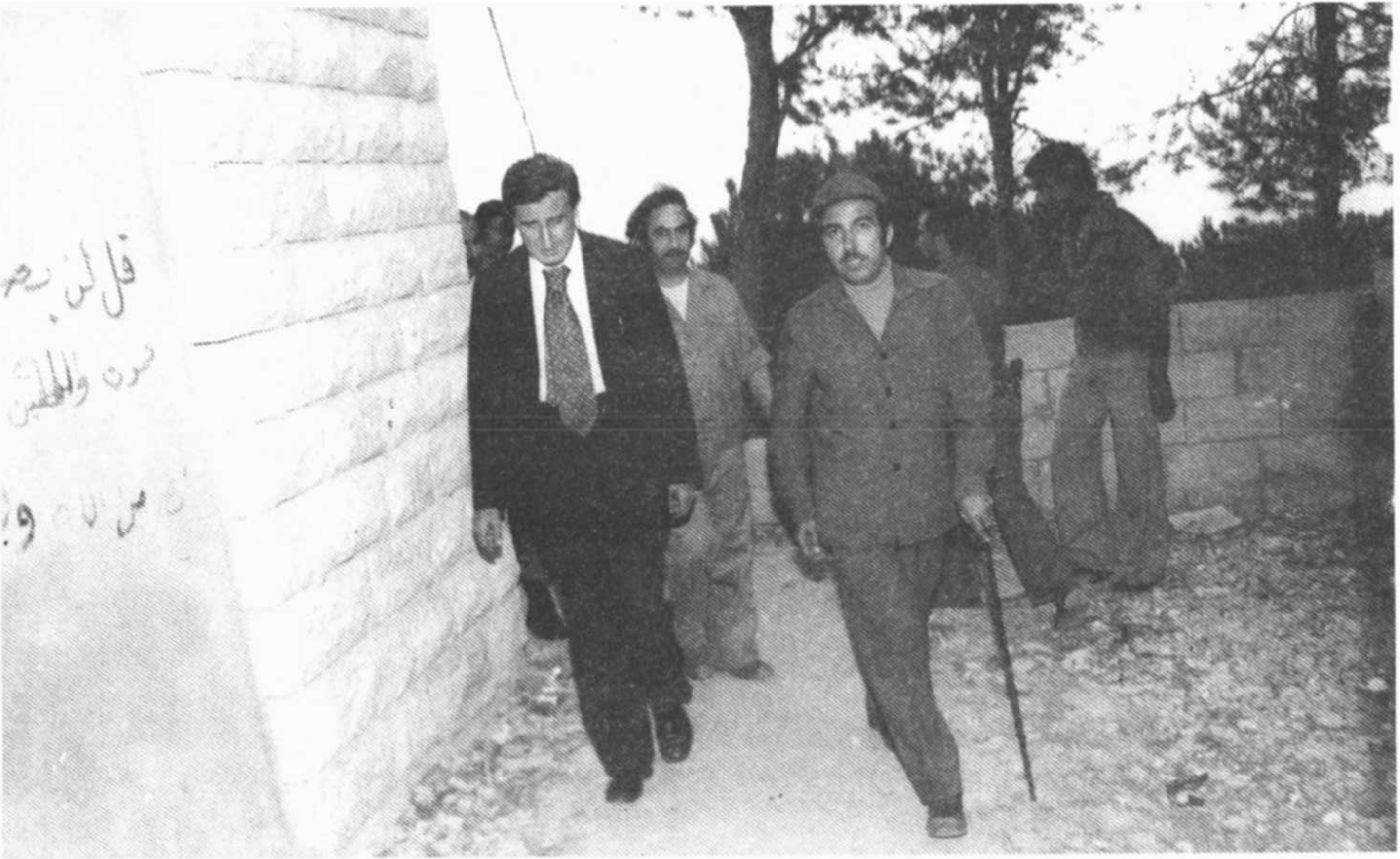
ياسر عرفات بكوفيته المشهورة



جمال عبد الناصر وياسر عرفات



ياسر عرفات مغادراً بيروت بحراً

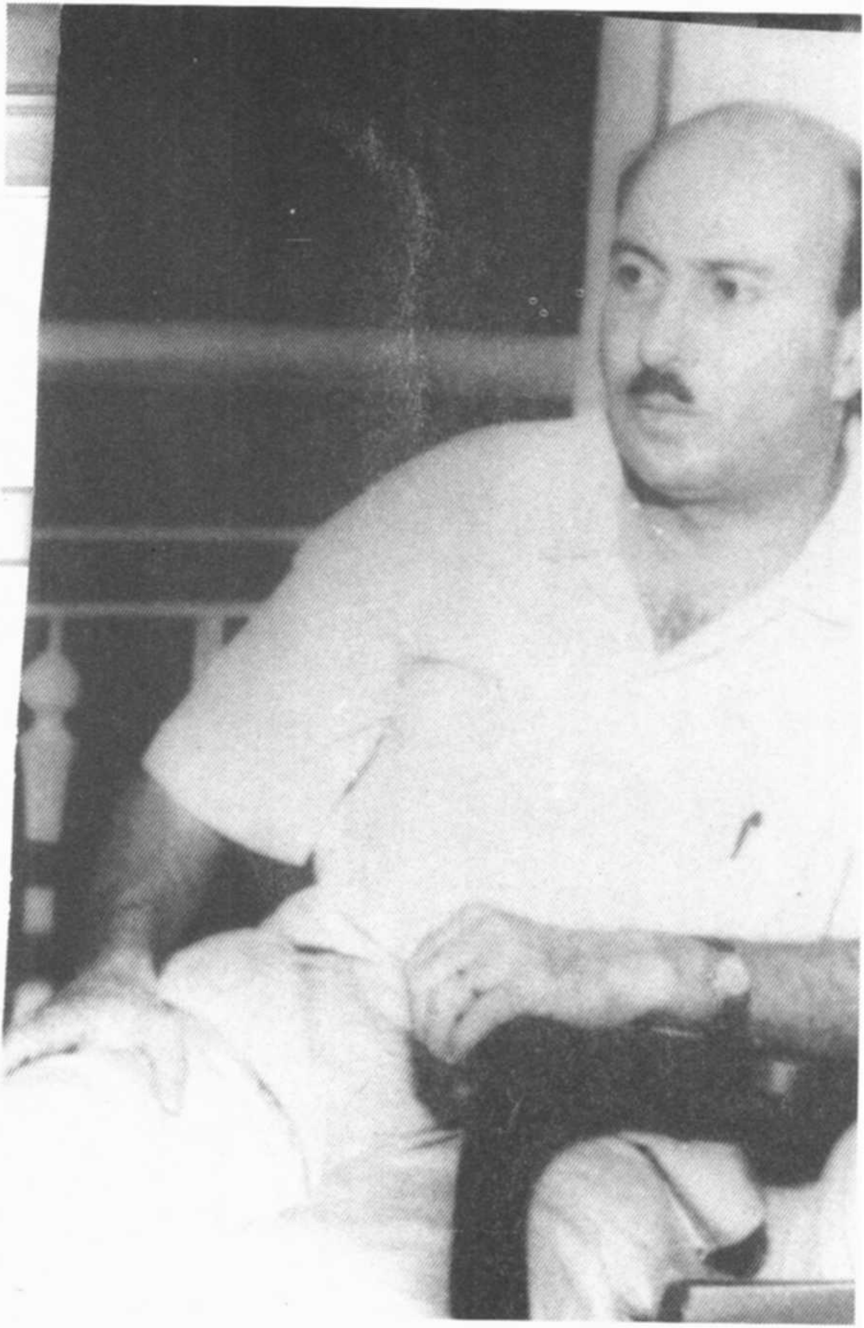




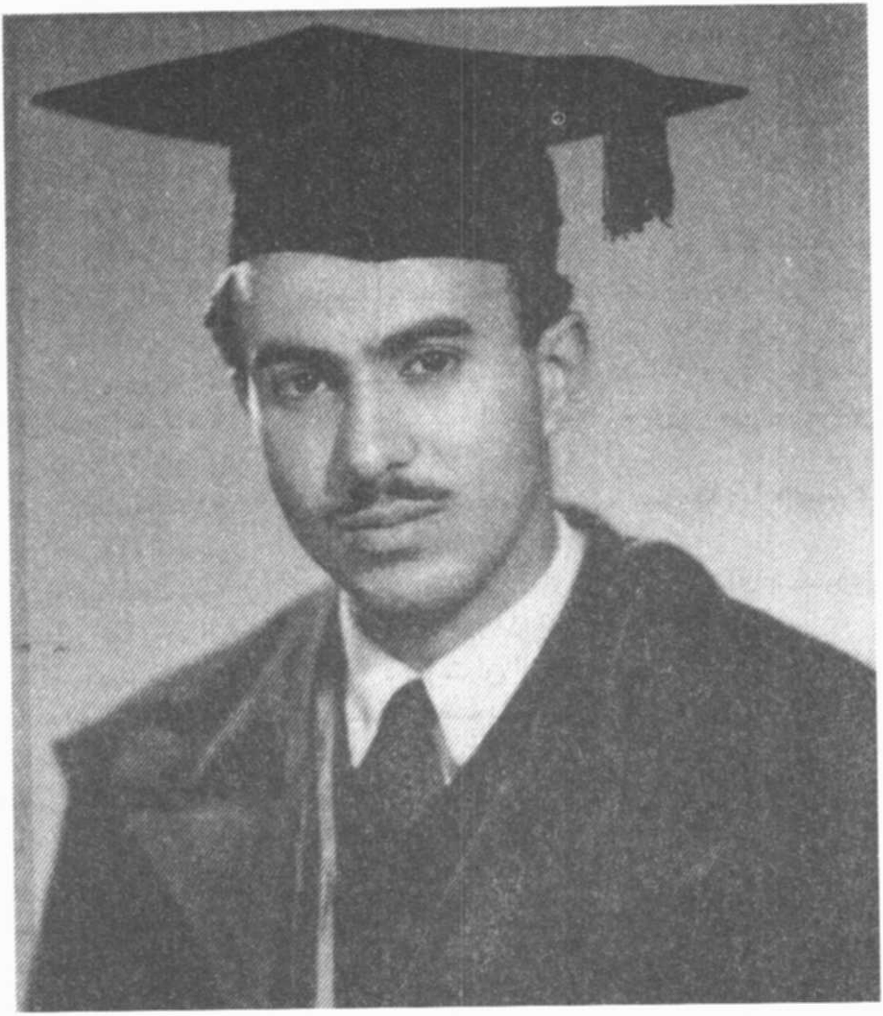
جنازة أبو جهاد فى دمشق



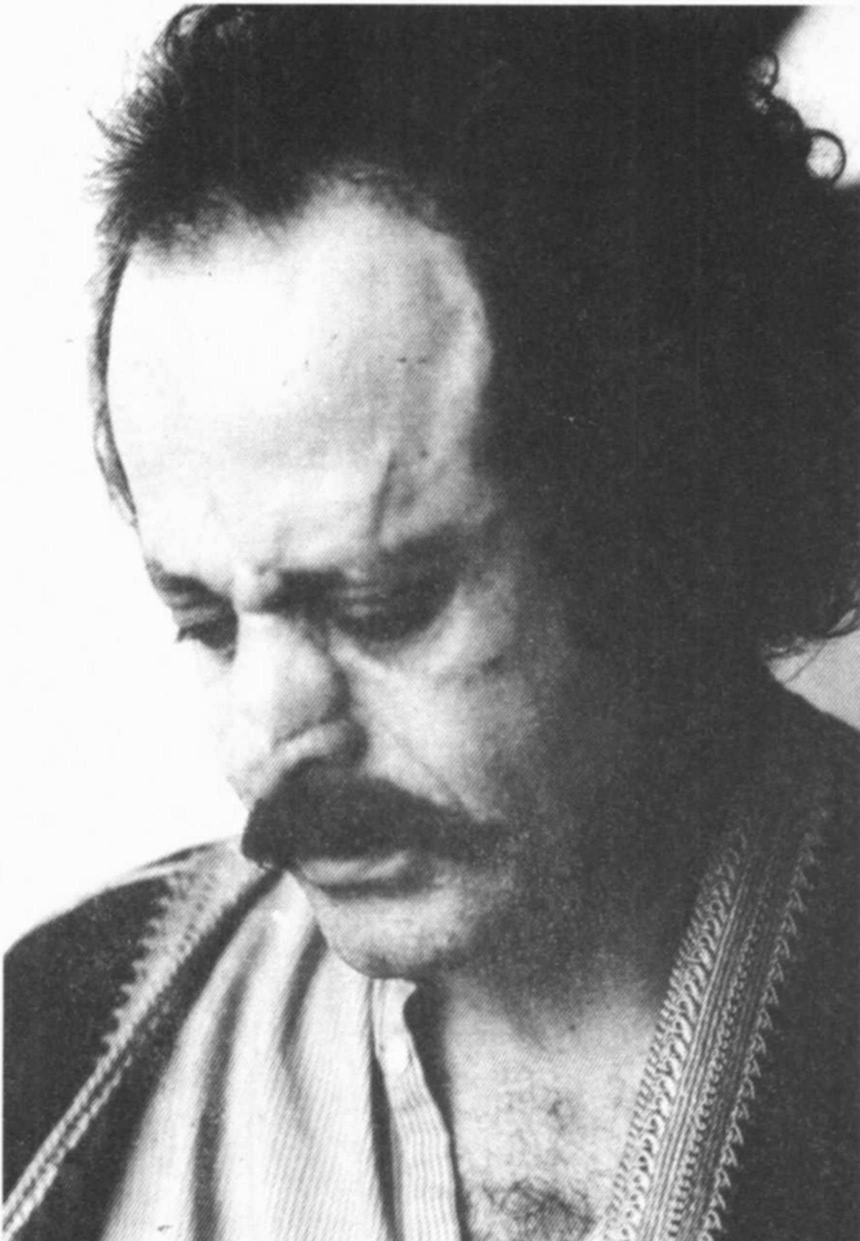
معين الطاهر من «قوات الجرمق» إلى يمين ياسر عرفات
وخلفهما محمود الفقيه من حركة أمل



وديع حداد (أبو هاني)



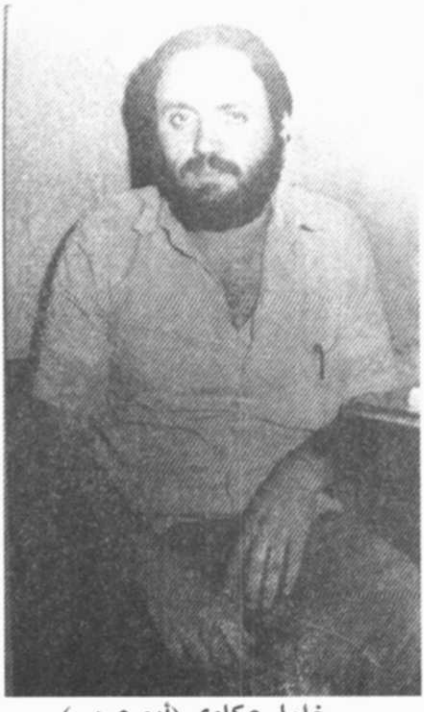
وديع حداد لدى تخرجه في الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٥٢



كمال خير بك



علي عكاوي



خليل عكاوي (أبو عربي)



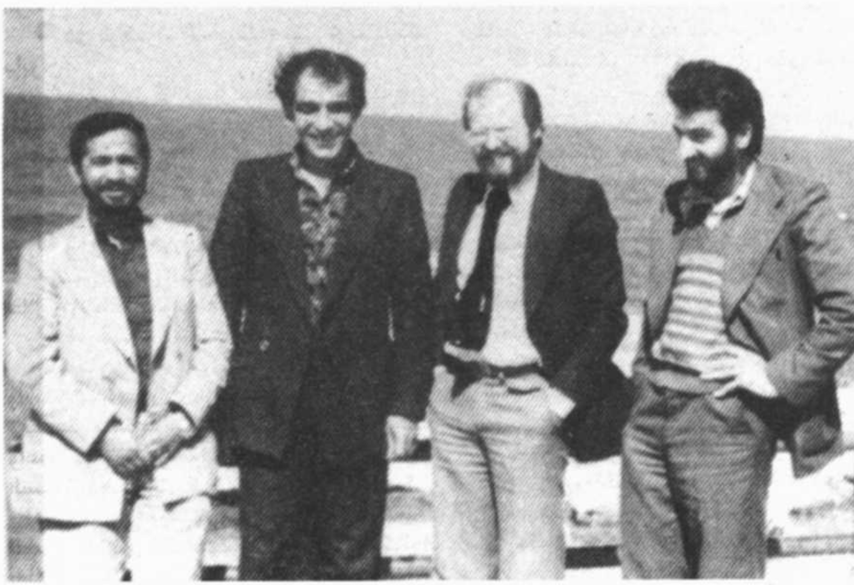
محمد صالح الحسيني يصافح ياسر عرفات ومعهما السيد هاني فحص (الأول من اليمين) والسيد حسين الخميني



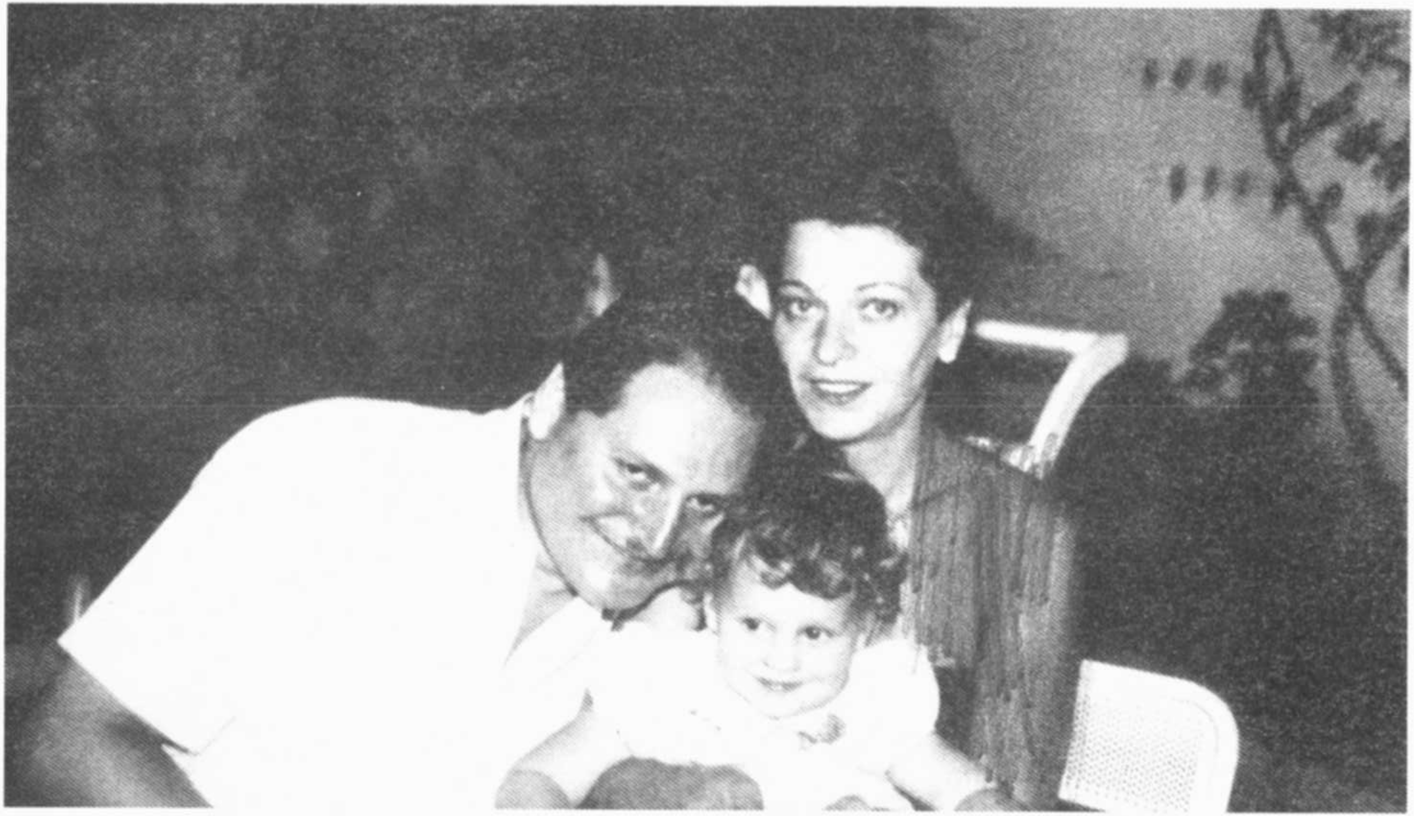
جامعة طهران حيث احتجز الرهائن الأميركيون ٤٤٤ يوماً



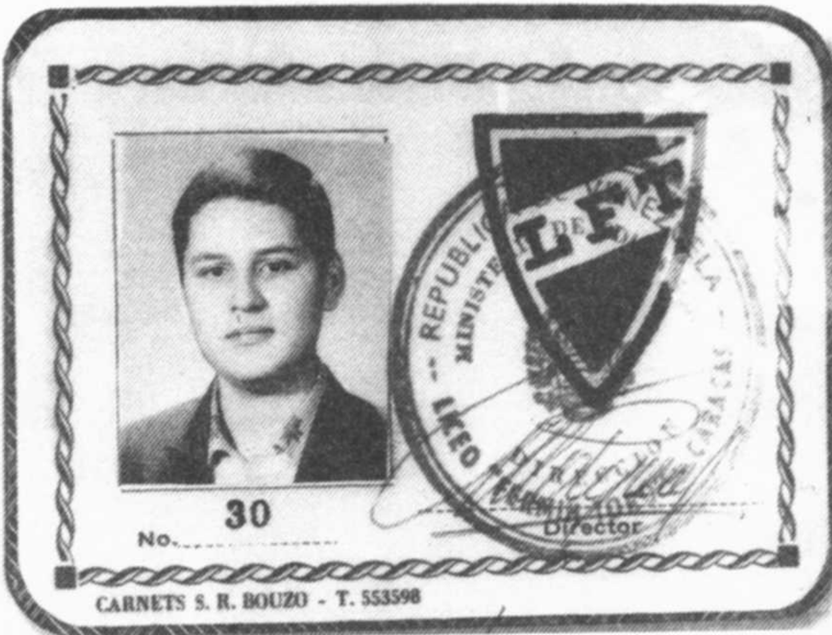
أنيس النقاش مع أبو الحسن بني صدر ومحمد صالح الحسيني



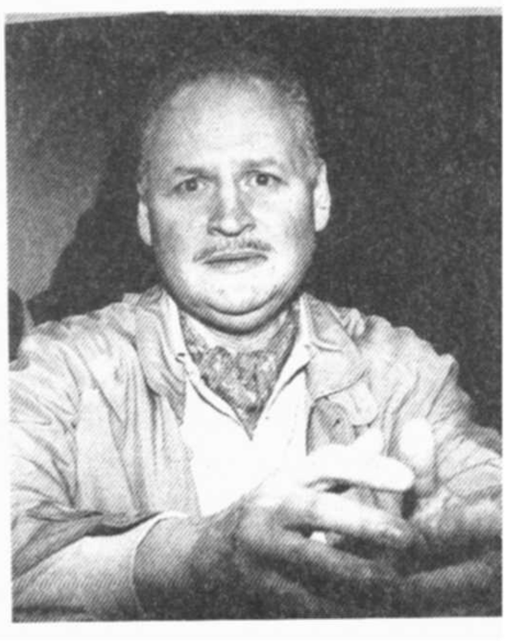
من اليمين: محسن رضائي وأنيس النقاش ومحمد صالح الحسيني ومحسن رفيق دوست في بيروت (١٩٨٠)



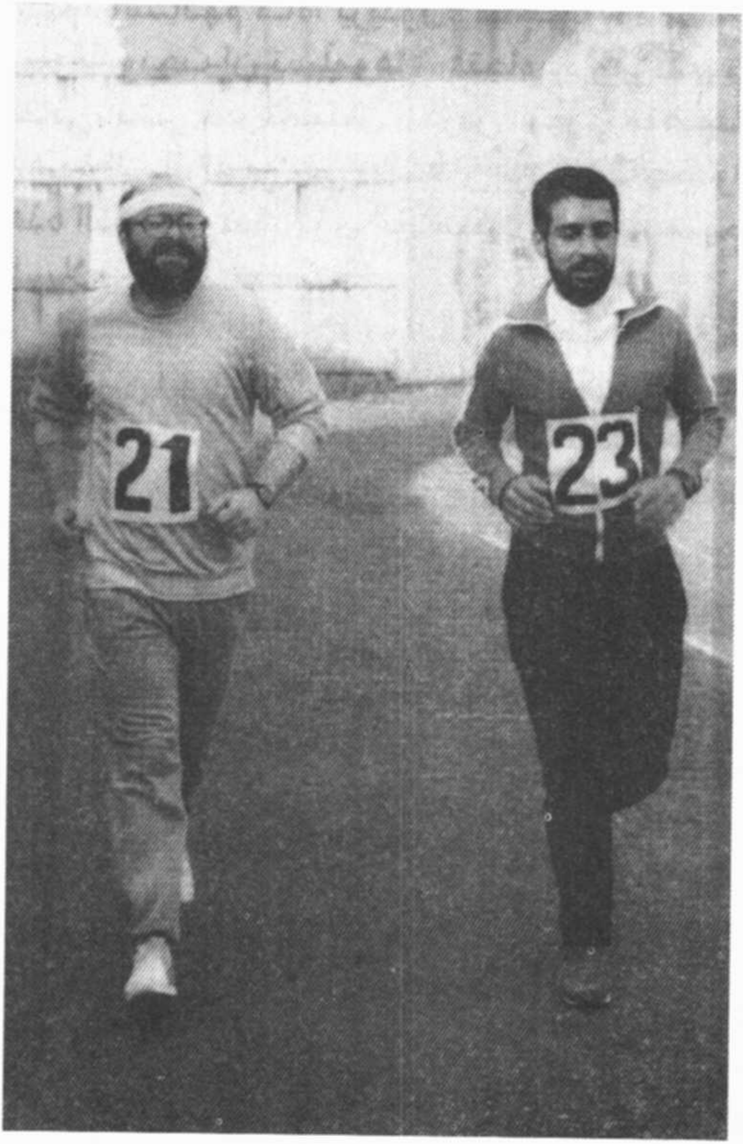
كارلوس وزوجته ماغدالينا كوب وابنتهما ألبيتا



كارلوس وهوية المدرسة في السادسة عشرة
(كاراكاس - فنزويلا)



كارلوس بعد تسليمه إلى فرنسا



أنيس النقاش داخل السجن وإلى جانبه مهدي تبريزي
أحد أفراد مجموعة اغتيال بختيار